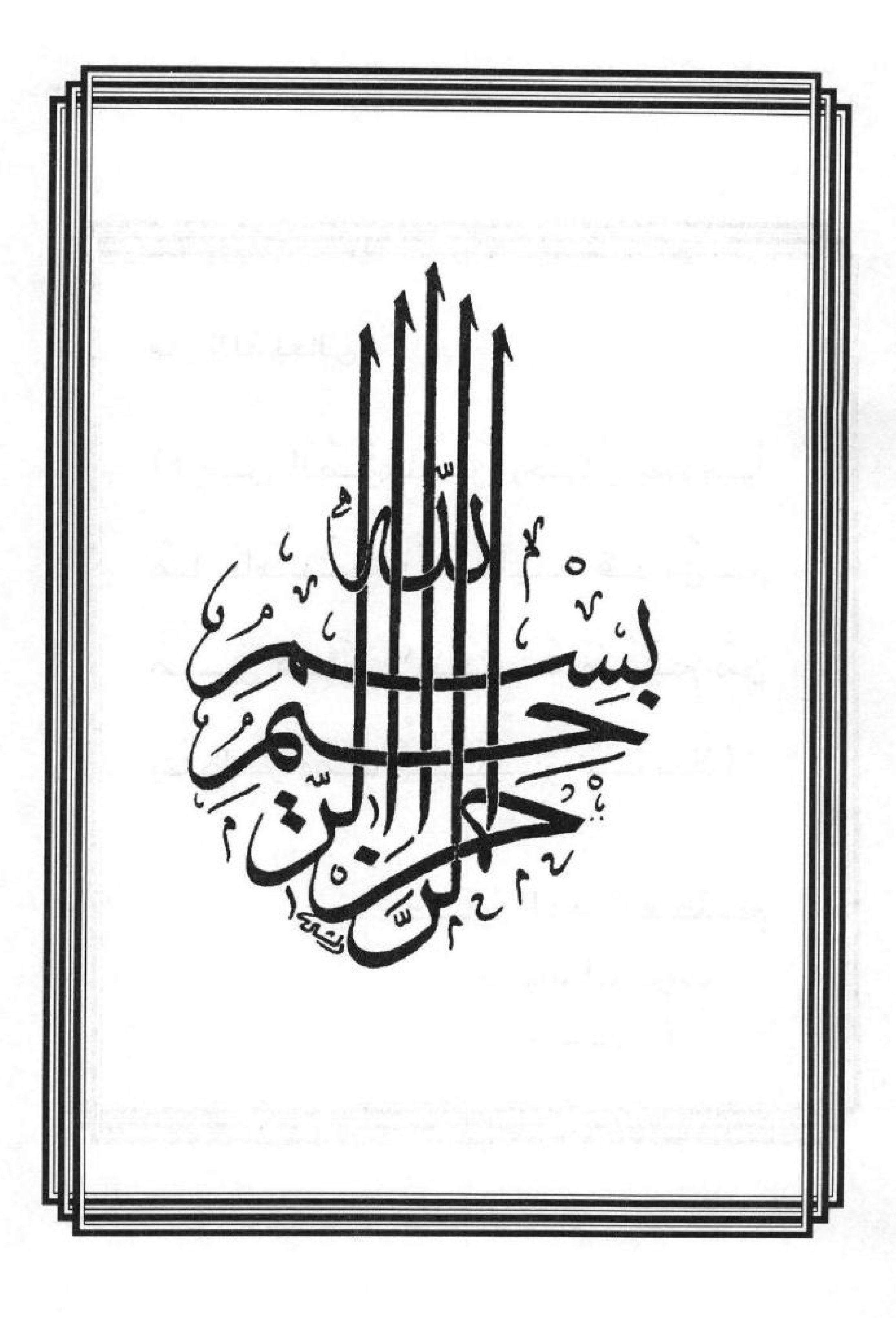
سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة
سلسلة الدراسات

من أعلام عُمان

صور مشرقة من حياة الرعيل الأول

تأليف
الشيخ الدكتور
صالح بن أحمد الصوافي

العدد الأول
الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م


بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

((مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً)).

صدق الله العظيم

سورة الأحزاب

آية ــ ٢٣

{{ تقريظ }}

بقلم الشيخ

بدر بن سالم العبري

الحمد لله الذي يؤتي الحكمة من يشاء من عباده ، ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وصلاة الله وسلامه على من أوتي جوامع الكلم ، سيدنا محمد أفصح الناطقين ، وأصدق الصادقين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد . .

فقد اطلعت على بحث رائق شيق استوقفني بعذوبة مبانيه ورشاقة معانيه ، كتبه أخونا الكاتب الأديب ، والمبرز الخطيب الشيخ الدكتور صالح بن أحمد بن سعيد الصوافي السناوي ، يحمل اسم « من أعلام عمان صور مشرقة من حياة الرعيل الأول » فإذا هو معلم أسماً ، يضم اسماً على مسمَّى ، بستان وارفة ظلاله منساب شلاّله ، مبتسمة أزهاره ، يانعة ثماره ، لعب اليراع في تنميقه ، والفكر في تحقيقه وتدقيقه ، ولا غرو فإن كاتبه الدكتور الصوافي قد ارتوى من معين الأدب سلسبيله ، ومن علم التاريخ أصوله ، وجنى من ثمار

المعرفة أحلاها ، واجتنى من الثقافة حلاها ، واقتنص من شواردها أغلاها ، وتسنّم من قممها أعلاها ، ورضع من اشطارها لبانها ، ومسك من عواديها عنانها فسابق في الميدان فرسانها ، ففاض حوض ثقافته معيناً يرنّ في جداول لباقته رنيناً ، وقد اختار لبحثه هذا مكاناً رحباً ، وسلكَ اليه مهيعاً خصباً ، وطرق به موضوعاً لم يطرقه قبله طارق ، ولم يسبقه اليه سابق ، حيث طار بنا بساطه إلى مدينة صحار الأثيرة ، وقصبة عمان الشهيرة . ليحط بنا في مجالس العلماء الأفذاذ الفطاحل ، والأدباء النبلاء الأماثل ، والملوك العظماء الحلاحل ، لنشم من عبق تاريخهم أريج المجد ، ونسمع من حديثهم ذائع الجد والجد .

أولئك قوم باركتهم وأرضهم   بدعوة خير المرسلين المكارم

فقد حدّث عنهم حديثاً شنف المسامع ، وطيّب القاريء والسامع ، جاء بحثه كاشفاً للحقائق ، وموضحاً كل معنىً فائق ، مبرزاً فيه دقائق المعاني ، بأسلوب شيق المباني ، كشف لنا به حجباً غوامض ، وأظهر في صفحاته ناصع التاريخ الغامض ، فهو بحق بحث ضم كل وارد ، وقرّب لنا كل شارد ، وقد جاء بحثه متزامناً مع عام التراث الذي خصصه صاحب الجلالة السلطان قابوس المعظم ، تشجيعاً من جلالته لابراز التراث العماني للرأي العام ، ومساهمة منه في هذه المناسبة الكريمة ، فجزاه الله عما كتب الأجر والثواب ، وآتاه العلم وفصل الخطاب . هذا وبالله التوفيق . .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم كتابه العزيز ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**﴾[1] والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير العاملين وخاتم المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد . .

فقد إرتأيت أنه من الواجب على كل واحد منا قدر استطاعته ومعرفته ، أن يسهم في أداء واجبه تجاه وطنه وأمته ، خصوصاً ونحن في (عمان) بالنسبة لهذا العام الذي اطلق عليه النطق السامي لسلطان البلاد المفدى قابوس بن سعيد - أبقاه الله - انه عام للتراث .

وهذه الدراسة المختصرة التي اقدمها بين يدي القارىء الكريم مساهمة مخلصة مني عن حياة علمين هامين من أعلامنا الكبار العظماء الاتقياء أطمح من خلالها أن أسلك مسلك الكاتبين والباحثين وإن كنت أعترف أنني لست من فرسان هذا الميدان .

أما بالنسبة لمن أكتب عنهم فهم عظام معترفاً بأنني لست قادراً على أن أوفيهم حقهم ، فلسلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - أهل الاستقامة حقوق كبيرة ، من الواجب القيام بها نظراً لما قدموه لهذه الأمة من أرصدة تاريخية وجهود جبارة خدمة لقضايا الحق والعدل ، ونصرة لهذا الدين ، وذوداً عن حياضه .

وعُمان بحمد الله يزخر تاريخها باولئك الاساطين الذين نذروا حياتهم من أجل العلم ، ونشره بين الناس ، وتحكيم شرع الله في الأرض .

(١) سورة يوسف الآية ١٢ .

ومن بين هؤلاء العلماء الميامين ، كوكبة زاهرة اخترتها لتأتي توالياً في بحوث آتية - إن شاء الله - .

أما العلمان اللذان أشرت اليهما أن يكونا ضمن هذا البحث أو هذه الدراسة بمعنى آخر فهما من علماء صحار المعطاءة العاصمة العمانية الأولى .

إنهما الإمامان الجليلان (أبو حمزة المختار بن عوف السليمي والجلندى بن مسعود المعولي) رحمهما الله تعالى فهما مشعلا هداية قد ازدهرت بعلمهما الأرض الصحارية فاستضاءت الأرض العمانية جميعها بنورهما ، فأضاءت باشراقها دنيا الناس .

لقد عاش أولئك المصلحون عيشة الجهاد والنضال بين علم وتعليم ، ومنهج وتنظيم ، في جميع شؤون حياتهم قولاً وعملاً ، أمراً ونهياً ، حركة وسلوكاً ضربت إليهم أكباد الابل للعل من معينهم ، والنهل من فيوضاتهم .

لقد كان لاولئك الجهابذة حركة متوهجة بين الناس في كثير من اصقاع البسيطة من أجل تبصيرهم بدينهم وإسلامهم ، وتوجيههم التوجيه السليم ، وإنقاذهم من ابحر الجهل التي تردى فيها الكثير من الناس إلى مرافىء شواطيء الأمن والسلام ، فكان منهم الفقيه اللامع ، والمرشد الحكيم ، والحاكم العدل ، والقاضي الفصل ، والمؤلف القدير ، والخطيب المصقع ، والمجاهد المناضل إلى غير ذلك من أفرع التخصصات ، ومختلف المواهب .

وهذا الاختيار مني يأتي للعلمين اللذين تقدم ذكرهما ، نظراً للقاسم المشترك بينهما ، في العلم والعمل ، والصحبة والجهاد والنضال .

وتعتبر هذه الدراسة الأولى من نوعها أتشرف بكتابتها عن بعض أعلام صحار نظراً - كما قلت سابقاً - أنها العاصمة الإسلامية العمانية الأولى ، وأن أول ملوك عمانيين اعتنقوا الدين الإسلامي منها وأن أول خليفة إسلامي يعقد عليه بالامامة على نهج بيعة الخليفتين لرسول الله - ﷺ - (أبي بكر وعمر) - رضي الله عنهما - منها ، وأن أول سفير إسلامي يمثل الدولة الإسلامية الأولى يبعث إليها (١).

هذه أسباب دفعتني على أن تكون أول دراسة تاريخية أكتبها وأبحث فيها عن بعض أعلام صحار .

وتعتبر هذه الدراسة نقلة من كتابات فقهية وتربوية وفكرية ، عشت فيها سنوات عديدة وهي مجال تخصصي .

ولعلّ أهم الأسباب في هذه النقلة هو العمل الذي شرفت به حالياً - كمشرف عام للدراسات والتراجم وتحقيق الكتب - بوزارة التراث القومي والثقافة الموقرة - وإن كان دوري الوظيفي هو الإشراف فقط .

وانني لاذكر بكل شكر وتقدير المسئولين بوزارة التراث القومي والثقافة وعلى رأسهم صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد - الموقر وزير التراث القومي والثقافة - على إهتمامهم جميعاً بالدراسات الفقهية والأدبية والتاريخية والإجتماعية .

---

(١) السفير هو عمرو بن العاص الذي إبتعثه رسول الله ﷺ إلى عمان فكان مقيماً بصحار كما سنبين ذلك - إن شاء الله .

وأخص سموه بالذكر على تشجيعه لي للقيام بكتابة هذه البحوث التاريخية مما كان له أثر فعال يظهر في مثل هذه الدراسة المفيدة إن شاء الله رغم كثرة مشاغلي ولعدم إلمامي الكثير بقضايا التاريخ ، الذي يؤهلني للكتابة في هذا المجال الرحب الواسع ، ومن الله استمد العون والتوفيق ﴿**رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**﴾ [1] .

ولقد إرتأيت في مثل هذه الدراسات الموضوعية أن اقدم أولاً ترتيباً لها لعلها فيما بعد تصبح دراسة مركزة مختصرة بعيدة عن التطويل الممل والتقصير المخل ـ حسب ما هو متيسر لي من الوقت والمراجع ـ لأن الحصول على مصادر ومراجع تبحث عن أعلامنا مولداً ونشأة هي قليلة جداً ولعل السبب في ذلك يعود إلى إهتمامهم بالعمل أكثر من اهتمامهم بشخصياتهم .

ومن هنا تأتي هذه الدراسة ممزوجة بالأسلوب العلمي والأدبي معاً . ومباحثها تتلخص فيما يلي :

المبحث الأول : صحار ومكانتها التاريخية .
المبحث الثاني : أول سفير في الإسلام بعمان .
المبحث الثالث : أبو حمزة الشاري تاريخ يتكلم .
المبحث الرابع : الجلندى بن مسعود حياة من أجل العدل .

خاتمة

والله أسأل أن يجنبني مواطن الزلل والخطأ وأن يوفقني إلى الطريق الصحيح (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه انيب) .

دكتور / صالح بن أحمد بن سعيد الصوافي

---

(١) سورة طه الآيات (٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨) .

المبحث الأول

((صحار ومكانتها التاريخية))

صحار قصبة عمان مما يلي الساحل وتوام قصبتها مما يلي الجبل ، وصحار مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه مبنيَّة بالآجر والساج ليس في تلك النواحي مثلها [1] .

وسميت صحار بصحار بن أرم بن سام بن نوح - عليه السلام - وهو أخو رباب وطسم وجديس [2] .

ويجوز أن يكون تسميتها مشتقة من الصحرة (بالضم) وهي جوبة تنجاب وسط الحرة والجمع صحر فاشبعت الفتحة فصارت ألفاً ، أو من الصحرة وهو لون الأصحر وهو كالقشرة [3] ، أو مشتقة من الصحراء وهي الأرض الفضا .

وصحار أيضاً سوق عمان كبيرة على ساحل البحر [4] وتعتبر أيضاً قصبة عمان ليس على بحر الصين بلد أجل منه عامر آهل ، حسـن طيب ، نزه ذو يسار ، وتجار ، وفواكه ، أجل من زبيدو صنعاء ، واسواق عجيبة ، وبلدة ظريفة ممتدة على البحر ، دورهم من الآجر والساج ، شاهقة نفيسة والجامع على الساحل له منارة حسنة ، طويلة في آخر الأسواق ، ولهم آبار عذبة ،

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي جـ٣ ص ٣٩٣ بتصحيح .
(٢) المرجع السابق ص ٣٩٣ .
(٣) معجم البلدان المجلد الثالث ص ٣٩٣ .
(٤) تحفة الأعيان جـ١ ص ٧ .

وقناة حلوة ، وهو في سعة من كل شيء ، وهو دهليز الصين ، وخزانة الشرق، والعراق ، ومغوثة اليمن ، والمصلى وسط النخيل ومسجد على نصف فرسخ. ولمحرابه كوكب يدور ، فتارة تراه أصفر ، وتارة أحمر ، وأخرى أخضر [1] .

وهذا الوصف الذي نقله ياقوت عن البشاري يرجع إلى القرن الرابع للهجرة خاصة .

ومما لا شك فيه فصحار مدينة عريقة كانت معروفة قبل بزوغ شمس الإسلام ، وزائر « صحار » اليوم يرى أن الوضع لم يتغير كثيراً خاصة بالنسبة إلى موقع الجامع [2] فإنه مايزال شامخاً على الساحل في آخر أسواق المدينة . غير أن الفن المعماري قد تغيَّر حيث اتخذ فيه التحديث والتجديد .

أما بالنسبة للملاحة فقد كانت السفن المتجهة إلى الصين والهند تجدُ في مدينة صحار ما تشاء من المؤن الرخيصة والوفيرة فتملأ الأماكن الشاغرة في السفن بالرطب والتمر والفواكه الجافة التي كانت تجد لها سوقاً رائجة في الشرق إلى حد كبير ، كما أنها في رحلة العودة تجد في سواحل الخليج الفقيرة سوقاً وافرة لتلك السلع . [3]

كل هذه العوامل جعلت من صحار محطة هامة على الطريق من الخليج إلى الهند وإلى افريقيا ولكنها إلى حد ما ظلت في فترة من مراحل تاريخها خلال القرن الرابع وإلى العاشر إحدى الموانيء الرئيسة البارزة في آسيا في حين كانت في أوقات أخرى مجرد مقاطعة من مقاطعات عمان .

---

(١) راجع كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي جـ ٣ ص ٣٩٤ .
(٢) قد بني جامع كبير قريب من الجامع السابق على نفقة جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ـ أكبر من الجامع القديم وأطلق عليه جامع قابوس بصحار .
(٣) عمان عبر التاريخ لاندرو ويلياسون ص ١٢ .

ومن الصعب بمكان أن نتتبع حياة الملاحة العمانية وأصل وجودها وأنه لمن الجائز أن عمان كانت معروفة لدى سكان ما بين النهرين في الفترة الألفية الثانية والثالثة باسم (مجان) أو (مكان) هي البلاد التي إعتادت السفن أن تسافر اليها لجلب النحاس والخشب والمرمر والأحجار الكريمة .[١]

وهذه القرية الحديثة واقعة على بعد مائة كيلومتر من صحار في الداخل ولذلك يرى بعض المؤرخين أن أسم (مزون) هو الاسم القديم لاقليم صحار .

وتعتبر صحار سوقاً من الأسواق العالمية والعربية التقليدية وكانت أيضاً مقراً لمعظم القادة العمانيين البارزين .[٢]

ويذكر أن أول من أخرج النحاس من صحار إلى العالم هم السومريون وذلك في الألف الرابع قبل الميلاد ، ولا يبعد هذا القول ، فقد ذكرت بعض المصادر أن أول من سكن عمان هم السومريون ، ولعل فريقاً من هؤلاء سكن صحار في ذلك الوقت ، ثم سكنها بعدهم الكلدانيون ثم قوم عاد ثم جاء عمان ابن قحطان بن هود فحملت عمان اسمه وصار ملكاً عليها وبعده جاء الفينيقيون وسكنوا صور [٣] المدينة المعروفة بنفس الاسم حتى اليوم ثم الأشوريون ومن بعدهم البابليون ، ثم السبأيون نسبة إلى سبأ بن يقتان بن ابراهيم الخليل - عليه السلام - ومن بعدهم الفرس فأطلقوا عليها اسم (مزون) لفترة قصيرة . . ثم جاء مالك بن فهم الأزدي من ولد الأزد بن الغوث بن مالك

---

(١) راجع صحار عبر التاريخ ص ١٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٣١ .
(٣) تبعد صور عن العاصمة مسقط (٣٧٠ كيلو) .

ابن قحطان بن هود ـ عليه السلام ـ فأخرج الفرس واستوطن فيها .[1] وكان ذلك أول دخول العرب إلى عمان .

وهذا يعطينا دلالة واضحة أن كثيراً ممن ذكرناهم سكنوا صحار إذ تعرف يومئذ بأنها حاضرة عمان ، وقد كانت عاصمة ساحله .[2]

ومما يؤكد ذلك ما ذكره مؤلف كتاب (حدود العالم) عندما ذكر صحار قال في وصفه لها « أنها مستودع العالم ولا توجد مدينة في كل أنحائه تضاهي صحار في ثراء تجارتها وأن جميع منتجات الشرق والغرب والجنوب والشمال تصب في هذه المدينة ، ومنها إلى جميع المراكز التجارية في العالم » .

ويستطرد قائلاً : « وكان مرسى السفن في صحار يصل إلى حوالي ستة كيلومترات طولاً وعرضاً وكان يكتظ دائماً بالسفن الوافدة والمغادرة » .[3]

أما المقدسي فإنه يصف صحار « بأنها بوابة الصين ومستودع الشرق والغرب ودعامة اليمن » .

وكل هذه الأوصاف قد اثبتها الجغرافيون في مؤلفاتهم منذ أن حققها الباحثون والدارسون الموثوق بهم والمشهود لهم بالدقة .

ويؤكد ذلك أن الاصطخري وابن حوقل والمقدسي وهم من كبار المؤرخين كانوا كثيري الترحال إلى الخليج خلال فترة منتصف القرن الرابع

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي ـ المجلد الرابع ـ دار الكتاب العربي ببيروت ص ١٥٠ .
(٢) صحار عبر التاريخ ص ١٧ .
(٣) راجع صحار عبر التاريخ ص ١٩ ـ ٢٠ .

الهجري ، العاشر الميلادي وقد كانت الحماسة تدفعهم للقاء العديد من سكان منطقة صحار .[1]

ويكاد أن هناك شبه إجماع من المؤرخين على أن صحار هي أعظم الموانيء في العالم قبل الإسلام وبعده .

وكتب أبو الفداء في النصف الأول من القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي فذكر أن صحار كانت في وقت من الأوقات أشهر مدن الخليج وأكثرها حضارة . حيث اعتادت سفن الهند والصين وافريقية على ارتيادها .

أما إبن مجاور في مؤلفه الجغرافي عن جنوب الجزيرة العربية في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي فإنه يعطي وصفاً جميلاً لصحار حيث يقول « كان يوجد بها إثنا عشر ألف منزل وكان كل قبطان يسكن في منزل مستقل وقد اعتاد السكان على جلب الماء من الآبار » .

وكان يوجد بها ما يقرب من اثنين وتسعين ومائة ميزان سخرت لوزن البضائع المتداولة بين التجار .

أما البيوت فكانت مبنية بالطوب والخشب .

ويصف بعض الكتاب الحالة الزراعية في صحار في القديم « بأنها كانت تنتج بكميات هائلة من الرطب بالاضافة إلى الفواكه كالموز والتين وغيرها . . وكان الزراع يتوسعون في زراعتها ولهم اتصالهم الوثيق بالتجار ، حيث

---

(١) صحار عبر التاريخ ص ٢٠ بتصرف .

انتشرت في عمان خلال القرن العاشر الحمضيات التي نقلوها إلى الهند ومنها إلى الشرق الأدنى » .[١]

وعرفت أيضاً من قديم الزمان بمعاملها الصناعية المختلفة ومن أهمها صناعة الطوب الأحمر .

وكان التجار الفرس الذين يسافرون بإنتظام بين الهند والصين ينزلون في صحار إلا أن السيطرة التجارية في عمان كانت للعرب .

كما اشتهر بعض أهلها بصناعة السفن وقام الكثير منهم بالتجار ة البحرية حتى انهم وصلوا في رحلاتهم الملاحية إلى اندونيسيا والصين شرقاً وإلى مدغشقر غرباً .

وقد كان لصحار تجارة رائجة مع شرق إفريقيا

يقول المؤرخ المسعودي الذي زار صحار في عام (٣٠٤) هجرية (٩١٧) ميلادية . « أن أصحاب التجارة في شرق افريقية هم من أزد العرب العمانيين . .[٢] وكان العمانيون تسبقهم شهرتهم في الصومال وفي شرق افريقية بل أن نشاطهم قد إمتد حتى وصل إلى جنوب (كانبيالو) وهي مدغشقر الآن .

ولقد كانت السلع الافريقية التي تستأثر بإهتمام التجار العمانيين كما يقول أحد الكتاب المعاصرين « هي السلع التي تروج في عمان وفي

---

(١) صحار عبر التاريخ ص ٢٢ .
(٢) انظر تاريخ المقدسي وصحار عبر التاريخ ص ٢٣ ـ ٢٤ .

الصين كالعاج والسلاحف والجلود والعنبر والرجال الذين يستطيعون القيام بالأعمال الشاقة ». [1]

وخلال القرن الأول من الهجرة استوطنت أعداد غفيرة من العمانيين الساحل الشرقي لافريقية وكذلك كان التجار العمانيون يتعاملون مع الشرق الاقصى في القرن الثاني الهجري - الثامن الميلادي ، وقد قام أحدهم وهو العلاَّمة أبو عبيدة عبدالله[2] بن القاسم بأول رحلة بحرية تجارية عربية للصين سجلها له التاريخ ، من أجل نشر الإسلام ومبادئه ، والدعوة اليه .

ويهمنا هنا أن نضيف إلى ما تقدم من أوصاف تجارية وصناعية وبيئيَّة ومناخية لمدينة صحار أن نضيف إلى ذلك أن هذه المدينة الزهراء هي التي مصرها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عندما مصر الأمصار المشهورة وربط بين البحرين وعمان وكان ان وصلها من قبل عمرو بن العاص بكتاب رسول الله - ﷺ - إلى جيفر وعبد ابني الجلندى ملكي عمان في ذلك الوقت مضمونه دعوتهما ومن معهما إلى إعتناق الدين الإسلامي ، ونبذ ما سواه وبالفعل قد اسلم الملكان في الحين ودعيا الناس إلى الإسلام فجاءوا طائعين لرب العالمين .

وهكذا بين عشية وضحاها تحولت عمان إلى تربة إسلامية خصبة قلعتها صحار ، ولعل راوي الخبر ان (بصحار) بركت ناقة رسول الله - ﷺ - أراد انها ناقة سفير رسول الله - ﷺ - عمرو بن العاص . [3]

---

(١) المرجع - انظر تاريخ المقدسي وأيضاً صحار عبر التاريخ ص ٢٣ - ٢٤ .
(٢) المعروف بأبي عبيدة الصغير لأن أبا عبيدة الكبير هو الامام المحدث مسلم بن أبي كريمة التميمي .
(٣) معجم البلدان ص ٣٩٤ بتصرف .

ولكن صحار فقدت مركزها كعاصمة إبان تولي الإمامة الإمام الوارث بن كعب الخروصي - رحمه الله - حيث انتقلت العاصمة إلى مدينة نزوى الشهيرة إلا أن صحار قد احتفظت بنشاطها التجاري والصناعي العريقين والمتزايدين حتى أصبحت من أهم المراكز التجارية التي تقع على خليج عمان ، وصارت تنافس أهم موانيء الخليج وهي البصرة وسيراف ، وكان لها إمتداد صلات وثيقة ببلاد الهند والصين وقد أعطاها موقعها خارج المنطقة دوراً خاصاً منحها أهم مركز للتجارة فيما بين الأقطار الإسلامية والمناطق التي تخضع فيها الملاحة للرياح الموسمية وذلك منذ القرن الثالث الهجري .

ومن صحار اتخذ بعض حكام عمان مركز تحول لاصلاح ذات البين بين العمانيين وتوحيد صفوفهم ، ومن بين أولئك الحكام الإمام أحمد بن سعيد بن سلطان البوسعيدي إبان كان والياً عليها ومتعلقاتها فجعلها نقطة إنطلاق لجمع شمل أهل عمان ولتحريرها من الغزاة في القرن الثاني عشر الهجري مما رفع من شأن أهل هذه المدينة وزاد من قدرها في العصور التالية فإزداد ازدهارها ونشاطها التجاري والصناعي والمالي .[1] والمعماري وخاصة في هذا العصر الزاهر المبارك عصر النهضة الميمونة لحضرة جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم .

ومما يقوي مكانة صحار الدراسات التي قامت بها شركة عمان للتعدين حتى نهاية مارس ١٩٩٣م عن اكتشافها خمسة وعشرين موقعاً لخام الكروم ،

---

(١) عمان ١٩٩٣ إصدار وزارة الإعلام - سلطنة عمان - مسقط - طبعة ١٤١٢ هـ .

وهذه الاكتشافات مما امتازت بها منطقة « فرفار ووادي الصلاحي » بولاية صحار ، وبعد ذلك تم إكتشاف موقع آخر في منطقة صحار أيضاً ولقد قامت الشركة بإستغلال بعضها وبيع كميات قليلة من الخام في الأسواق العالمية ، ويعد الموقع الآخر الذي اكتشف واحداً من أكبر مواقع الكروم وأجودها في السلطنة .

ويبلغ الاحتياطي لهذا الموقع وحده مائة وعشرين ألف طن متري .[١]

ولقد اشتهرت مدينة صحار باستخراج النحاس أيضاً وتكلل ذلك المشروع فيها بالنجاح حيث افتتح في عام ١٩٨٣م وقد قامت السلطنة بتصدير النحاس المصفى في ذلك العام . وهذا يوجد في مواقع ثلاثة وهى (عرجا) و(بيضاء) و(الاسيل) .

ويعتبر ذلك النوع من النحاس عالي الجودة بها والذي اعتمد عليه مشروع تعدين النحاس والذي انضم في تلك المدينة العريقة[٢] إلى تراثها القديم .

وما من شك أن مدينة صحار لا يستهان بها فهي كما قلنا سابقاً مدينة تاريخية لها مكانتها المرموقة في العصور السابقة وقد تحدث عنها المتحدثون وكتب عنها الكاتبون .[٣]

ولقد أكسبتها تلك المكانة التاريخية في القديم والحديث اهتمامات كبيرة من قبل الحكومة التي تتولى الحكم في عمان .

---

(١) عمان ١٩٩٣م إصدار وزارة الإعلام ـ سلطنة عمان ـ مسقط ـ طبعة ١٤١٢ هـ ـ ص ٢٠٠ .
(٢) عمان ١٩٩١ إصدار وزارة الاعلام ـ سلطنة عمان ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م ص ٢٠٢ .
(٣) راجع محاضرة لسماحة الشيخ/ أحمد الخليلي تحت عنوان : مكانة أدم التاريخية ومولد الإمام أحمد بن سعيد .

وفي هذا العصر والحمد لله أصبح لتلك المدينة أهتمام خاص في جميع المجالات المختلفة فانشأت فيها المدارس والمعاهد والكليات التربوية والصناعية على مختلف المراحل إلى جانب المكاتب الحكومية التي تهتم بتطويرها .

ولا يفوتني أن أشير إلى ذلك المعلم الحضاري الهام الذي انشىء مؤخراً بتوجيهات كريمة سامية من جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم - أبقاه الله - وهو « معهد السلطان قابوس للدراسات الإسلامية » .

هذا المعهد العظيم الذي أصبح - ولله الحمد - له دوره البارز في إخراج عدد من الخطباء ورجال التربية والمرشدين والموجهين والاداريين .

وبالجملة فإن مدينة صحار الآن لبست حلة جديدة يشعر زائرها عندما يرى معالمها وكأنها هي العاصمة في هذا الوقت نظراً للاهتمامات الكبيرة التي توليها الحكومة الرشيدة في مختلف الأنشطة .

فهنيئاً لأهل هذه المدينة بذلكم التاريخ العريق الذي يفوح شذى تتضوع منه الأرض العمانية وهنيئاً لهم بالمعطيات الحديثة التي اكتسبتها صحار - مدينة التاريخ والعلم والأمجاد .

المبحث الثاني

((أول سفير في الإسلام بعُمان))

لقد شرفت عُمان بسفير رسول الله - ﷺ - الذي ابتعثه اليها ذلك هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي يكني ابا عبدالله فاتح مصر وأحد عظماء العرب ، كان أستاذاً في الذكاء والدهاء وسعة الحيلة ، وصاحب رأي وحزم ومكيدة .

عرف في الجاهلية من الَّد الناس على الإسلام وأشدهم قسوة على دعاته أسلم في هدنة الحديبية وولاه النبي - ﷺ - إمرة جيش (ذات السلاسل) وأمده بأبي بكر وعمر . ثم أرسله سفيراً في عمان ، ثم كان من امراء الجيوش بالشام في زمن عمر ، وهو الذي افتتح قنسرين وصالح أهل حلب وممبج وانطاكية ، وولاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على فلسطين ثم مصر فافتتحها وعزل عن الولاية أيام تولى عثمان بن عفان الخلافة ، ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية كان هو مع معاوية فولاه معاوية على مصر سنة ثمان وثلاثين هجرية وأطلق له خراجها ست سنين فجمع أموالاً طائلة وله أخبار كثيرة ذكرها المؤرخون ، وكانت وفاته في القاهرة .

ويذكر صاحب كتاب البيان والتبيين أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذا رأى الرجل يتلجلج في كلامه قال : (خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد) . روى تسعة وثلاثين حديثاً .[1]

---

(١) الاستيعاب بهامش الاصابة جـ٢ ص ١٠٥ - تاريخ الإسلام للذهبي جـ٢ ص ٢٣٥ - الإعلام للزركلي المجلد الخامس ص ٧٩ .

عرف أنه أحد الثلاثة في قريش اتبعوا رسول الله - ﷺ - بعنف مقاومتهم دعوته وايذائهم أصحابه .

وراح الرسول الأكرم يدعو عليهم ويبتهل إلى ربه الكريم أن ينزل بهم عقابه . . وإذا هو يدعو ويدعو فنزل الوحي على قلبه بهذه الآية الكريمة :
﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم** ﴾ .[1]

وفهم الرسول - ﷺ - أنها أمر له بالكف عن الدعاء عليهم وترك أمرهم إلى الله وحده .

ولقد إختار الله لهم طريق التوبة فهداهم إلى الإسلام وتحول (عمرو بن العاص) إلى مسلم مناضل وإلى قائد من قادة الإسلام البواسل .[2]

و (عمرو بن العاص) لم يكن من السابقين إلى الإسلام فقد أسلم مع (خالد بن الوليد) قبل فتح مكة بقليل .

ومن عجب أن إسلامه بدأ على يد (النجاشي) بالحبشة وذلك أن (النجاشي) يعرف (عمروًا) ويحترمه بسبب تردده الكثير على الحبشة والهدايا الجزيلة التي كان يحملها للنجاشي ، وفي زيارته الأخيرة لتلك البلاد جاء ذكر الرسول الذي يهتف بالتوحيد وبمكارم الأخلاق في جزيرة العرب .

وسأل عاهل الحبشة عمروا (كيف لم يؤمن به ويتبعه وهو رسول من الله حقاً) ؟؟ .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٢٨ .
(٢) رجال حول الرسول للاستاذ خالد محمد خالد ص ٧٦٨ .

وسأل (عمرو) النجاشي قائلاً :

[أهو كذلك ؟؟] .

وأجابه النجاشي :

[نعم . . فاطعني يا عمرو واتبعه ، فإنه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه] ؟ . .

وركب (عمرو) يسبح البحر من فوره ، عائداً إلى بلاده ، وميمماً وجهه شطر المدينة يسلم لله رب العالمين .

وفي الطريق المفضية إلى المدينة التقى (بخالد بن الوليد) قادماً من مكة ، ساعياً هو الآخر - إلى الرسول ليبايعه على الإسلام .

ولم يكد الرسول يراهما قادمين حتى تهلل وجهه وقال لأصحابه :

[لقد رمتكم مكة بفلذات أكبادها] .

وتقدم (خالد) فبايع . .

ثم تقدم (عمرو) فقال :

يا رسول الله .

« إني أبايعك على أن يغفر الله لي ما تقدم من ذنبي » .

فأجاب الرسول عليه السلام قائلاً :

يا عمرو . .

بايع ، فإن الإسلام يجب ما كان قبله .

وبايع (عمرو) ووضع دهاءه وشجاعته في خدمة الدين الجديد .

وعندما انتقل (الرسول) إلى الرفيق الأعلى ، كان (عمرو) واليه إلى عمان . [١]

لقد أوضحنا سابقاً أن صحار كانت هي العاصمة ، فكرسي الملك قبل دخول الإسلام كان فيها .

ولقد كتب النبي - ﷺ - كتاباً أرسل به رسولاً هو عمرو بن العاص - الانف الذكر - إلى ملكي عمان - عبد وجيفر - وزوده بكتاب اليهما مضمونه دعوتهما ومن معهما إلى الإسلام .

وفي تفاصيل هذا الكتاب أو بعبارة أخرى هذه الرسالة يروي الواقدي باسناد[٢] أن النبي - ﷺ - كتب إلى جيفر وعبد ابني الجلندى الأزدي بعُمان وبعث عمرو بن العاص بن وائل السهمي بكتابه اليهما ، وكان كتابه صحيفة أقل من الشبر فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندى : السلام على من اتبع الهدى -

أما بعد : فاني أدعوكما بدعاية الإسلام - أسلما تسلما - فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ، ويحق القول على الكافرين ، وانكما ان

---

(١) رجال حول الرسول ص ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ .
(٢) تحفة الأعيان ص ٥٧ وما بعدها .

أقررتما بالإسلام وليتكما ، وان أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تطأ ساحتكما ، وتظهر نبوتي على ملككما . . . » .[1]

وفي رواية أخرى (بعثني لأنذر الناس بما ينتظر الكافرون من عذاب فإن قبلتما الإسلام كما أؤمل فإن العاقبة ستكون خيراً وإن رفضتما وجرتما فإن الله سيدمر ملككما وستدك خيوله أرضكما . وسينصر الله دينه على مملكتكما .

قال : فقدم عمرو بن العاص بكتاب النبي - ﷺ - إلى جيفر وعبد ابني الجلندى بعمان ، فكان أول موضع دخله من صحار (دستجرد)[2] وهي مدينة بنتها العجم في صحار في مهادنتهم لبني الجلندى ، فنزل بها وقت الظهر ، وبعث إلى بني الجلندى وهم بادية عمان ، فكان أول من لقيه عبد ابن الجلندى ، كان أحلم الرجلين وأحسنهما خلقاً ، فأوصل عمروا إلى أخيه جيفر بن الجلندى بكتاب النبي - ﷺ - فدفعه إليه مختوماً فقرأه مثل قراءته ، ثم التفت إلى عمرو فقال « إن هذا الذي تدعو إليه من جهة صاحبك أمر ليس بصغير وأنا اعيد فكري فيه واعلمك » قال : فاستحضر جماعة الأزد ، وبعثوا إلى كعب بن برشة العودى فسألوه عن أمر النبي - ﷺ - فقال : الرجل نبي ، وقد عرفت صفته ، وسيظهر على العرب والعجم .

قال : فأجاب جيفر إلى الإسلام ، وأسلم هو وأخوه في ساعة واحدة ، ثم بعث إلى وجوه عشائره فبايعهم لمحمد - ﷺ - وأدخلهم في دينه ، وألزمهم تسليم الصدقة ، وأمر عمرو بن العاص بقبضها ، فقبضها على الجهة التي أمره بها النبي - ﷺ - . قال عمرو : « وكانا لي عونا على من خالفني » .[3]

---

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد الجزء ٣ ص ٦٩٣ لابن القيم .
(٢) لعله المكان المعروف حالياً « بالهمبار » .
(٢) انظر ابن سيد الناس - ٢ / ٢٦٩ و «شرح المواهب» ج/ ٣/ ٣٥٥ ، ٣٥٣٦ .

قال : ثم بعث إلى دبي وما يليها إلى آخر عمان ، فما ورد رسول جيفر على أحد إلا أسلم وأجاب دعوته إلا الفرس الذين كانوا في ذلك العهد بعُمان .

وقد مكث عمرو بن العاص في عمان عاملاً عليها لرسول الله - ﷺ - وأهلها له طائعون ولقوله سامعون ، إلى أن بلغته وفاة رسول الله - ﷺ - فعزم الرجوع إلى المدينة . . فصحبه إليها عبد بن الجلندى ورهط من قومه . . فلما دخلوا على أبي بكر - رضي الله عنه - قام أحد رهط عمان فقال : يا خليفة رسول الله - ﷺ - ويا معشر قريش : هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا وديعة لرسول الله - ﷺ - فقد برئنا منها إليك ، فقال أبو بكر جزاكم الله خيراً وأثنى عليهم المسلمون خيراً ، وقام الخطباء بالثناء عليهم والمدح ، فقالوا : كفاكم معاشر الأزد قول رسول الله - ﷺ - وثناؤه عليكم . . وكان مما قاله خليفة رسول الله - ﷺ - .

« معاشر أهل عمان : انكم أسلمتم طوعاً ، لم يطأ رسول الله ساحتكم بخف ولا حافر ، ولا جشمتموه ما جشمه غيركم من العرب ، ولم ترموا بفرقة ولا تشتت شمل ، فجمع الله على الخير شملكم ، ثم بعث اليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فأجبتموه إذ دعاكم على بعد داركم ، وأطعتموه إذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم فأي فضل أبر من فضلكم ، وأي فعل أشرف من فعلكم كفاكم قول رسول الله - ﷺ - شرفاً إلى يوم المعاد ، ثم أقام فيكم عمرو ما أقام مكرماً ورحل عنكم إذ رحل مسلماً ، وقد من الله عليكم بإسلام جيفر وعبد ابني الجلندى وأعزكم الله به ، وأعزه بكم ، وكنتم على خير حال حتى أتتكم وفاة رسول الله - ﷺ - فأظهرتم ما يضعف فضلكم وقمتم مقاماً حمدناكم فيه ، ومحضتم بالنصيحة ، وشاركتم بالنفس والمال ، فيثبت الله

السنتكم ويهدي قلوبكم ، وللناس جولة فكـونوا عند حسن ظني فيكم ولست أخـاف عليكم أن تغلبـوا على بلادكم ولا أن ترجعـوا عن دينكم - جـزاكم الله خيراً .[1]

وقد ذكر في بعض السير أن أبا بكر - رضي الله عنه - أقر جيفراً وأخاه عبداً على ملكهما وجعل لهما أخذ الصدقات من أهلها وحملها اليه . . إلى أن مات ، ثم خلف من بعدهما عباد بن عبد بن الجلندى في زمن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب .[2]

والمتتبع لكتب التاريخ يجد ما قام به العمانيون من دور هام في نشر الإسلام وخصوصاً عندما أصبحت «البصرة» في جنوب العراق مركزاً هاماً للفتوحات الإسلامية .[3]

وهكذا دخل الإسلام إلى عُمان ودخلت عُمان في الإسلام ، ولم يكن السبيل إلى ذلك حرباً أو سلماً . ولم تفتح تلك البلاد بالقوة أو برباط الخيل وإنما كان سبيلها إلى الإسلام عن طريق القلب والعقل والبصيرة وكان فتحها بنور الهدى والمعرفة . . رأى أهلها - وذو الرأي فيها - النور قد أبلج ، والصبح قد أسفر والشمس قد أشرقت ففتحوا أعينهم ليروا النور ، واستقبلوا الصبح في فرح وإيمان ، وتلقوا الشمس بخير ما يستقبل به عاقل سر الحياة . . لم يركبوا رؤوسهم كما فعل سواهم ، ولم تأخذهم العزة بالاثم كما أخذت أهل زمانهم ، ولم يتنكروا للحق كما تنكر الآخرون فقد شرح الله للإيمان قلوبهم وأنار بالحق بصائرهم .

---

(١) تحفة الأعيان ص ٦٢ - ٦٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٦٧
(٣) عمان ونهضتها الحديثة ص ٢١ .

روى جابر بن عمرو الراسبي قال سمعت أبا برزة يقول : « بعث رسول الله - ﷺ - رجلاً إلى حي من أحياء العرب فسبوه وضربوه » فجاء إلى رسول الله - ﷺ - فأخبره فقال رسول الله - ﷺ - «لو أن أهل عمان اتيت ما سبوك ولا ضربوك » . [1]

كما يروى أن رسول الله - ﷺ - قال « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبا للغرباء من أمتي » - قالوا ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال : «الذين يعملون بكتاب الله حين يترك ويتمسكون بحبل الإسلام حين يقطع» قال محمد بن أحمد : الغرباء أهل عمان من سره أن ينظر إلى أصحاب رسول الله - ﷺ - فلينظر إلى الصلحاء من أهل عمان . [2]

والخلاصة أن أهل عُمان كانوا من الأوائل الذين استجابوا لدعوة رسول الله - ﷺ - دعوة الإسلام ، ومن المعلوم أن عُمان لم تفتح حرباً كما فتحت بلاد كثيرة غيرها وإنما دخلها الإسلام واعتنقه أهلها بيسر وسماحة .

إن أهل عمان آمنوا بدين الله الحق اهتدت قلوبهم به ثم مضى أهلها يرفعون لوائه وينشرون مبادئه ويدفعون عنه كل عدوان .

وفي الفتوحات الإسلامية كان لعُمان في فجر إسلامها مشاركة عظيمة براً وبحراً وكان الانطلاق - آنذاك - من صحار ، فلقد كلف أبو بكر (الصديق - رضي الله عنه - الملك عبد بن الجلندى أن يقوم بحرب الغساسنة (آل جفنه) على حدود الشام وقد أمره على سرية كان فيها حسان بن ثابت الأنصاري ، ولما

---

(١) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٤١٦ طبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاه .
(٢) تحفة الأعيان جـ ١ ص ١١ .

عادوا قام حسان فقال : «قد شهر مقام عبد في الجاهلية والإسلام فلم أر رجلاً أحزم ولا أحسن رأياً وتدبيراً منه فهو والله ممن وهب نفسه لله في يوم غارت نجومه وأظلم صباحه فسر ذلك أبا بكر وقال هو يا أبا الوليد كما ذكرت والقول يقصر عن وصفه والوصف يقصر عن فضله فبلغ ذلك عبداً فبعث اليه من صحار بمال عظيم وأرسل اليه إن مالي يعجز عن مكافئتك فاعذر فيما قصر وأقبل ما تيسر . . ثم إن أبا بكر كتب كتاباً إلى أهل عُمان يشكرهم ويثني عليهم فيه .

أما دور عمان في فتح العراق وفارس خاصة من ناحية البحر فإنه كان عملاً عظيماً فقد طلب الخليفة الراشد عمر بن الخطاب من والي عمان عثمان بن العاص الثقفي أن يقطع البحر لمحاربة الفرس فخرج عثمان ومعه ثلاثة آلاف من الأزد فعبر بهم من جلفار (رأس الخيمة حالياً) إلى جزيرة اسمها (كاوان) كان فيها قائد العجم فسالم عثمان ولم يقاتله .

لكن يزدجرد كسرى فارس علم أن قائده قد هادن عدوه عثمان فكتب إلى عظيم كرمان أن يتوجه إلى جزيرة بني كاوان فحل بين العرب الذين بها وبين إخوانهم - فسار عظيم كرمان واسمه «شهرك» في جيش كبير من الفرس المدربين وقد سار إلى عثمان قائد العرب فتقابل عند جزيرة (القسم) فتقاتل الجيشان قتالاً عنيفاً دارت فيه الدائرة على الفرس وهزموا شر هزيمة . . ولقد كان لهذا الانتصار الحاسم الذي أحرزه العمانيون أثره في القضاء على رغبة فارس في تطويق العرب من الجنوب وكذلك قضى هذا الانتصار على فرصة الفرس الأخيرة في إستعادة ملكهم الذي سيطر عليه العرب .[1]

---

(١) تحفة الأعيان ص ٦٨-٦٩ .

ومن ناحية أخرى فإننا لا ننسى تلك المحاولة في إرسال جيش لجب إلى سقطرة بأمر من الإمام الجلندى بن مسعود وتمكن ذلك الجيش من حمله على فرض صلح على المسيحيين في تلك الجزيرة غير أن أسباب إرسال ذلك الجيش لم تعرف ولربما تعود إلى قيام أهالي الجزيرة بهجمات على السفن العمانية والحضرمية على الساحل الشرقي لافريقيا .

ويبدو أن اتفاقية السلام قد استمرت إلى عهد حكم الإمام الصلت بن مالك الخروصي إذ قام سكان (سقطرة) وقتلوا الوالي العماني عليها الأمر الذي تطلب إرسال جيش آخر قوام سفنه مائة وذلك لقمع التمرد السقطري فتحقق النصر والحمد لله .[1]

وهكذا إستمر جهاد أهل عُمان واستمرت مشاركتهم في الفتوحات الكبرى في البر والبحر . . في حروب الشام وفارس وجميع من تلاهم ، فلم يتخلفوا عن أداء أي واجب وبذل الدم والمال في سبيل الله مما دعا المنصفين من حكام الأمة الإسلامية إلى الإشادة بفضل العمانيين في الجهاد والثناء عليهم والدعاء بالخير لهم .[2]

ولقد تتابع بعد ذلك جهاد أهل عمان لنشر ألوية الإسلام في مختلف الاصقاع وخاصة في شمال افريقية وفي شرقها ووسطها .[3]

(١) تحفة الأعيان ص ١٦٨ ـ صحار ـ تاريخ وحضارة د/ جون ويلكسون ص ٢١ .
(٢) جابر بن زيد واثاره في الدعوة من مؤلفاتنا ص ٢٢ .
(٣) عمان في فجر الإسلام د/ سيدة اسماعيل كاشف ص ٣٩ .

المبحث الثالث

((أبو حمزة الشاري تاريخ يتكلم))

أبو حمزة المختار بن عوف بن عبد الله بن يحيى بن مازن بن مخاشن بن سليمة بن مالك بن فهم الأزدي[1] وقيل المختار بن عوف بن سليمان بن مالك الأزدي السليمي .[2]

ويقال المختار بن عوف السليمي الأزدي[3] وقوفاً عند عراقة النسب ، ويرجع نسبه إلى سام بن نوح - عليه السلام - .[4]

فمن أروقة الأزد نبع المختار بن عوف فورث عن أجداده الخصال الحميدة والمزايا العزيزة .

فلقد عرف جده سليمة ببطولته المثالية والمتأمل في كتاب الانساب يجد الشيء الكثير عنها .

ويذكر العوتبي في حديث مطول الأسباب التي أوصلت سليمة إلى الاستقرار بأرض كرمان بفارس وكيف انهم كانوا يشتكون من ظلم ملكهم الذي وصل به العسف والغطرسة والكبر إلى أنه (ما زفت عروس على بعلها حتى يوتى بها اليه فيصيبها وإلا قتل بعلها وبدد أهلها)[5] فاتفق وإياهم على أن يخلصهم من الملك بشرط أن يملكوه عليهم مع التزامات أخرى وكانت الخطة

---

(١) الكامل لابن الاثير - راجع التعليق على كتاب الاعلام للزركلي م ٧ ص ١٩٣ .

(٢) للزركلي الاعلام م٧ ص ١٩٢ .

(٣) الاعلام أيضا ص ١٩٢ .

(٤) أبو حمزة الشاري حياة من أجل الحق د/ فرحات الجعبيري ص ٩٣ .

(٥) الأنساب لسلمة بن مسلم العوتبي ص ٤٣ - ٤٥ .

على مخادعة الملك الطاغيـة بأن يزف إليه سـليمة مكان عروس ولينتقم منه شر إنتقام .

وختام القصة كما يوردها العوتبي (فلما أصبح بعد أن قتل الملك) وثب إلى الأبواب ففتحها وخرج إلى حراس الملك وحاميته فشد اليهم ، فلم يزل يجالدهم بسيفه ويقتل من لحق منهم حتى أباد عامتهم ، وباب الدرب مغلق عليه وعليهم ، ثم تصايح الناس وتهافتوا بالسلاح ووقع الصريخ ، وأقبل عليه الجماعة ووجوه أهل كرمان وأهل البيعة منهم وغيرهم من أعوان الملك في آلة حربهم وخيلهم وعددهم ، فعندما أشرف عليهم سليمة من رأس الدرب عليه الدرع والبيضة شاهراً لسيف الملك وهو مخضب بالدم ، القى إليهم بجثة الملك ورأسه .[1]

لقد ولد المختار ببلدة «مجز» من أعمال ولاية صحار وهي قرية جاثمة على ضفاف خليج عمان جنوب شرقي مدينة صحار والتقسيم الإداري الحالي يميز بين مجز الكبرى وهي تابعة لولاية صحار وسكانها النوافل والفوارس وبنو معين .

ومجز الصغرى وهي تابعة لولاية صحم ويقطنها آل فارس والبداة وآخرون .[2]

ولا نعرف إلى أيهما ينسب المختار بن عوف ، ولعلها كانت قرية (مجز) واحدة ـ حسبما يشير الدكتور فرحات الجعبيري[3] وأنا أتفق معه في ذلك إذ

---

(١) أبو حمزة الشاري حياة من أجل الحق ص ٩٤ بشيء من التصرف

(٢) راجع المرشد العام للولايات والقبائل في سلطنة عمان لكاتبه عادل الحديد نشر وزارة الداخلية ـ مسقط ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٥٢م ص ١٠٥ .

(٣) أبو حمزة الشاري ص ٩٥ . وأيضاً كتاب «الأنساب» للعوتبي .

كانت في القديم تعتبر مجز الصغرى والكبرى مكاناً واحداً ، ونشأ ذلكم التقسيم في الفترة الأخيرة .

وبما أن قرية مجز من أعمال ولاية صحار فما من شك أن أبا حمزة كان يتردد إلى هذه المدينة العريقة ، ولربما تلقى تعليمه الأول على أعلامها .

ولمكانة صحار ، ولموقعها الجغرافي قد كانت الأخبار تصل إليها عن طريق البحر وعن طريق البر ، مما يدل أن ابا حمزة كان يستقي مختلف الأخبار عن وضع العالم الإسلامي بما فيه أخبار الحجاز إلى غير ذلك .

ثم إنتقل أبو حمزة إلى البصرة مركز العلم والمعرفة آنذاك ليلتحق بمدرسة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وذلك ليكرع من معينها ويغترف من يمها ، فالبصرة - في ذلك الوقت - جمعت مختلف حلقات العلم ومجالس المناظرة .

ولقد كانت مجالس أهل الاستقامة في البصرة ثلاثة انصاف ، فإذا وجدنا أبا حمزة الشاري في اعلاها درجة فمعنى ذلك أنه تنقل في مراتب العلم والمعرفة ، إذ الظاهر من ذلك أن الله تعالى وهبه ذكاءً وقاداً وفطنة نيرة وإدراكاً قوياً ، وإلا فما وجدناه يصل إلى تلك المرتبة في العلم والمعرفة من بين سائر أقرانه .

وتذكر بعض كتب التاريخ : (قال المليح : دخلنا على أبي عبيدة فوجدنا عنده المختار بن عوف ورجلين أو ثلاثة من المشايخ[1] (أي في مجلسه) وإستمر هذا المجلس من صلاة العشاء إلى مطلع الفجر يقعد واحد من الحاضرين ليقوم آخر وهم في هذا يعرضون أحوال أهل الاستقامة بأحسن بيان .

---

(١) الطبقات للإمام الدرجيني الجزء ٢ .

ويعتبر هذا المجلس هو المجلس الأعلى للشورى الذي يقرر مصير الأمة، وقد كان أبو حمزة أحد أعضاءه البارزين ، ولا غرابة أن يصفه الإمام أبو عبيدة بأنه (رجل انجيله في صدره)[1] وذلك عندما انتخب مع من انتخب لمؤازرة عبدالله بن يحيى الكندي في اليمن .

وهذه الشهادة من أبي عبيدة لتلميذه المختار بن عوف تدل دلالة واضحة على أنه خضع له البيان والفصاحة بما فيهما من علم غزير يتمتع به أبو حمزة .

وإننا لنقطع أن المختار كان من النخبة التي تربعت في مدرسة أبي عبيدة الخاصة التي كان مقرها سرداباً معروفاً بالبصرة إختاره - رحمه الله - لخاصة تلامذته ، ذلكم السرداب الذي تخرج فيه أساتذة عبقريون ومفكرون مصلحون، فلا غرو أن اكتسب أولئك مضامين علمية مختلفة لأنهم تلقوا علماً وتدريباً على أسرار القيادة وإحكامها - ففي العلم نبوغ ، وفي العمل إتقان ، جاء بعد تفان متوال ، وجهود متتابعة ، أضف إلى ذلك أن الفتى اليافع أبا حمزة الذي هاجر من عمان إلى البصرة ، هاجر ليرتشف من معين مجالسها النيرة التي يكثر فيها الامام أبو عبيدة من ذكر الجنة ونعيمها والنار وعذابها إلى أن بلغ به الحال (تخنقه العبرة في موعظته ويجهش بالبكاء ويشهق وينهق وما يملك دموعه) .[2]

ولم يكن للمختار بن عوف أن يستغنى عن استغناء شيخه فلقد جاء المختار بن عوف إلى منزل الإمام الربيع بن حبيب ، فخرج إليه أخ له صغير . . فأخذه وقبله فقال له الصبي يا عم زوجني إبنتك . قال قد فعلت يابني

---

(١) السير للشماخي ص ٥٩ .

(٢) أبو حمزة الشاري د/ فرحات الجعبيري نقلاً من الديوان المعروض على علماء الإباضية خ/ البارونية - ٥٨٧ .

وابنته يومئذ صغيرة ، فلما خرج أبو حمزة وقع في قلبه مما قال الفتى شيء فمضى حتى دخل على أبي عبيدة فقص عليه القصة فقال : يا أبا حمزة هما في نكاحهما حتى يبلغا فيعلمان الخبر فإن رضيا كان نكاحهما جائزاً وإن كرها فلا شيء . قال أبو حمزة : فكيف القول في الصداق ؟ . قال : ما قال الغلام . . قال وكان أبو حمزة قد قال للغلام . . يا بني : فما تعطيها ؟ قال من سرير جدي إلى الباب دراهم . قال أبو عبيدة : فهو كما قال .[1]

وفي عرض هذه القضية من التلميذ أبي حمزة لاستاذه أبي عبيدة دلالة على احترامه لآراء استاذه وتتضح جلية قمة الاعتراف بنبوغ أبي حمزة وتأصله في الدعوة .

إن المدرسة التي كرع منها ونهل من ينابيعها تتوجه توجهاً كلياً إذ تختاره لمهمة عظمى ألا وهي مهمة تحقيق الإمامة ـ إمامة الظهور ـ وفعلاً كان أبو حمزة واحداً من ثلاثة عشر وإن كان الثالث عشر يقدر بألف ممن أرسلهم أبو عبيدة إلى مؤازرة عبدالله بن يحيى عند ارساء إمامة الظهور .

يقول أبو حمزة الشاري : (سمعت عبدالملك الطويل يحدث عن المختار بن عوف الكندي قال) : أدركت المسلمين إذا كان الرجل منهم ما يستزاد في صلاة ولا صيام ولا في حج ولا في عمرة ولا في وجه من الوجوه إن عرف منه أنه ليس بشديد الحرص في الشراء سقط من أعينهم ونقصت منزلته عندهم .[2]

قال صاحب كتاب الطبقات : (وأما أبو حمزة فأشد في الحرب المستعد للطعن والضرب ليث في الهيجاء إن ركب ، وغيث في الآراء إذا وهب ،

---

(١) ن.م.ـ ٢/ ٢٤٥ـ٢٤٦ .

(٢) ن.م.ـ ٢/ ٢٦٢ .

وبحر عجاج إذا وعظ واختطب ، الحصر يعدوه قصر أو اسهب ، ذو رفق ولين لأولياء الله المتقين ، وذو غلظة على المشاقين) .[١]

ومن المعلوم ان اثناء فترة من علاقات سليمة وودية جعلت بين «الإباضية» والسلطة الحاكمة والتي امتدت خلال حكم الخليفتين سليمان بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز ، انتهز أبو عبيدة ومشايخ الدعوة (أهل الاستقامة) هذه الفرصة لالتقاط انفاسهم وتنظيم حركتهم على أسس متينة من أجل الوصول إلى هدفهم الاسمى وهو تأسيس إمامة الظهور وانتخاب خليفة للمسلمين من بين أتباع الدعوة ، وقام أبو عبيدة بتطوير تنظيمات المجالس السرية وأعمالها التي كانت تقام في البصرة وتضم مشايخ الدعوة واتباعها وهم يتداولون فيها خططهم ويتعلمون فيها مبادىء عقيدتهم وما يمت إلى دعوتهم بصلة سواء في النواحي الدينية أو الدنيوية ـ كما بينا ذلك سابقاً ـ عن السرداب الذي اختاره الإمام أبو عبيدة مدرسة خاصة .[٢]

والحقيقة أن هذه المجالس السرية كانت موجودة منذ زمن مرداس بن أديه التميمي الذي تزعم حركة أهل الدعوة والاستقامة بعد النهروان (أي في أيام زياد بن ابيه) وابنه عبدالله ، وتذكر الروايات أن عروة بن أديه أخا مرداس قد قبض عليه وهو مختبئ في سرداب سري تحت الأرض حيث كان يتعبد مع اصحابه .[٣]

قال أبو سفيان محبوب بن الرحيل ـ رحمه الله ـ حدثني يسار وهو خيار من أدركت عن والدته وهي بنت ثمانين سنة أي حدثته بهذا الحديث وهي قد بلغت

---

(١) طبقات المشايخ للدرجيني ص ٢٥٩

(٢) نشأة الحركة الإباضية د/ عوض خليفات ص ١٠٥ .

(٣) الطبقات للدرجيني ص ٩٢ ـ ٩٨ ـ الجزء الثاني .

السن. قال: أدركت أخوين من بني راسب يقال لاحدهما يبرح وللآخر مازن إبني كنان. وكانا من خيار من مضى من أهل هذه الدعوة. وكان نظيري أبي بلال وأخيه عروة - رحمهما الله - وكانا في زمانهما فأما يبرح فكان عابداً مصلياً لا يفتر عن العبادة حتى دبرت ركبتاه ويداه ورجلاه وجبهته كدبر البعير. وكان قد اتخذ سرباً في الأرض يعبد الله فيه مع أصحابه). [1]

وعلى الرغم من وجود هذه المجالس السرية المتنوعة منذ الأيام الأولى لقيام حركة أهل الحق والاستقامة فإن الفضل يعود للإمام أبي عبيدة في توضيح معالم هذه المجالس وتصنيف وظائفها وترتيب طبقاتها والسبب في اتخاذ مثل هذه المجالس هو الخوف من بطش الجبابرة بهم.

ولم يغفل أبو عبيدة ومشايخ أهل الاستقامة في البصرة عن اتباعهم في الأمصار الأخرى وخاصة أنهم يحتاجون بشكل دائم إلى المساعدات المالية والمعنوية حتى يستطيعوا الصمود، ولكي يستعدوا بشكل فعال للوقوف في وجه أي خطر يتهددهم.

ولتحقيق ذلك أنشأ أبو عبيدة في البصرة ما يمكن أن نسميه بالحكومة الثورية السرية[2] وكان هو زعيمها وله الكلمة العليا في الشؤون الدينية من فتوى وقضاء وتدريب الدعاة وحملة العلم الذين يرسلون للأمصار [3] وأنشأ بيت مال خاص في البصرة وعين حاجباً الطائي ليتولّى مهمة الإشراف على الشؤون المالية والعسكرية وشؤون الدعوة. [4]

---

(١) السير للشماخي ص ٨٢.

(٢) نشأة الحركة الإباضية ص ١١٤.

(٣) الطبقات للدرجيني ص ١٠٥-١٠٨.

(٤) المرجع السابق ص ١٠٥-١٠٦.

وقد كان أبو عبيدة ذكياً في الربط بين الناحيتين المالية والعسكرية ووضعهما في يد رجل واحد قدير ، وذلك لأن موارد بيت المال كانت تستخدم معهم لمساعدة الدعاة والمجاهدين «الإباضية» في المناطق البعيدة .

وكانت موارد بيت المال تأتي من مصدرين :

الأول : عبارة عن ضريبة فرضها الإمام على أتباعه في البصرة ولا تذكر المصادر متى كانت تدفع ولا مقدارها ولكن من الثابت انها لم تكن تفرض بالتساوي بل كانت تتفاوت حسب ثراء المكلف ودخله . ، ولا تذكر المصادر أن أحداً من «الإباضية» قد تخلف عن دفعها لأنها في اعتبارهم جزء من واجباتهم الدينية التي تساعد على انتصار الحق ، ويبدو أن هذه الضريبة كانت تجمع عند الحاجة . يقول أبو سفيان «لما خرج الإمام عبدالله بن يحيي (طالب الحق) ووجه أبا حمزة المختار بن عوف (لقتال الأمويين) قام حاجب فجمع له أموالاً كثيرة ليعينه بها فكتب على كل موسر قدر ما يرى . . فما امتنع عليه أحد» .[1]

أما المورد الثاني لبيت المال : فكان يأتي من التبرعات السخية التي يدفعها أثرياء «الإباضية» ويبدو أن التجار منهم كانوا يتحملون النصيب الأكبر في هذا الشأن ومعروف أن عدداً من التجار «الإباضية» كانوا من الأغنياء المعدودين . وكانت تجارتهم تتجاوز البصرة وما جاورها وتصل إلى الصين والشرق الأقصى ومن هؤلاء التجار نذكر على سبيل المثال النظر بن ميمون وأبا عبيدة عبدالله بن القاسم والفضل بن جندب وغيرهم ،[2] ولم تقتصر هذه التبرعات على

---

(١) الدرجيني - ورقة ١١٠ .

(٢) الدرجيني - ورقة ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، شماخي ، سير ص ١٠٣ .

الأغنيـاء من «الإباضـيـة» بل تعـــدتهم إلى بقـيـة النـــاس من أهل الدعـــوة ، رجالا ونساء .

ولقد بعث أبو عبيدة ومشايخ «الإباضية» في البصرة بالمال والسلاح معونة لطالب الحق كما سار اليه بعض أباضية البصرة لمساعدته وعلى رأسهم المختار بن عوف الأزدي المعروف بأبي حمزة الشاري ، وبلج بن عقبـــة وغـيـرهم[1] ولا تشير المصادر إلى عدد «الإباضية» الذين قدموا من البصرة لمساعدة طالب الحق . ويبدو من الروايات أن عددهم لم يكن قليلاً . فالمدائني[2] يذكر أن أبا حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة قد قدما في رجال من «الإباضية» لنصرة إخوانهم في العقيدة . أما رواية الأزدي فتعتبر أكثر وضوحاً في اشارتها إلى كثرة عدد أباضية البصرة الذين اشتركوا في حركة طالب الحق إذ تشير الرواية إلى أن «الإباضيـة» «اجتمعت إلى طالب الحق ، وجـاء اليه خلـق من أهـل البصرة[3] وقد بالغ خليفة بن خياط عندما أورد رواية ذكر فيها أن عامة جيش طالب الحق كان من أهل البصرة[4] وأيا كان الصحيح في هذه الروايات فإنها كلها تؤكد على أن مجموعة من أباضية البصرة ، يقودهم أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي ، قد هبوا لمساعدة أخوانهم في حضرموت .

وقبل أن نبين مواقف أبي حمزة الشاري عندما ذهب إلى الحجاز نشير إلى معنى كلمة شار ، فجميع المصادر - غير «الإباضية» - تعتبر أبا حمزة خارجياً وقليل منها تذكّر أنه شار أو أباضي فلما هذا التردد يا ترى؟ كلنـا يعلـم أن كلمة الخروج حملت عديّداً من المعـــاني فهي إما خـــروج في ســـبيل الله ،

(١) بلاذري ، أنساب ، جـ٢ ، ص ٣٧٣ أبو الفرج الأغاني جـ٢ ص ٩٧ - الدرجيني ورقة ١١٠ الأزكوي ورقة ٢٧٠-٢٧١ .
(٢) بلاذري ، أنساب جـ٢ ص ٣٧٣ (عن المدائني) .
(٣) الأزدي ص ٧٧ .
(٤) خليفة بن خياط - تاريخ جـ ٢ ص ٥٨٢ .

وإما خروج عن الإمام علي ، وإما خروج عن الدين ، وقد غلب على الكلمة المعنيان الأخيران في كتب التاريخ وكتب الملل .

أما الخروج عن الإمام علي فالقضية فيها نظر ، ولا يمكن بأية حال أن يسموا بالخارجية الذين انحازوا إلى حروراء ثم النهروان لأنهم لم يعينوا إماماً لأنفسهم إلا بعد أن عزل أبو موسى الأشعري الإمام علياً ودعى هذا الإمام إلى التوبة عن خطيئة التحكيم فلم يقبل لذلك لا يمكن بحال أن نعتبر هؤلاء خوارج وإنما هي محكمة أو أهل حروراء أو أهل النهروان أو جماعة المؤمنين كما يختارون لأنفسهم .[1]

وحالما تربع الأمويون على كرسي الحكم ظلوا يشنون على هؤلاء حروباً نفسية متلاحقة لأنهم أقاموا الثورات المتتالية تعبيراً عن سخطهم على جبروت الأمويين ، فأشاعوا في الناس على أنهم خوارج على السلطة الشرعية ومما زاد الأمر تعقيداً أن بعضاً من المنتمين إلى المحكمة قد انحرفوا عن جادة الصواب فكانوا خوارج لا بالمفهوم السياسي ، وإنما خوارج عن الدين لأنهم عملوا بمبدأ الاستعراض المتمثل في قتل كل مخالف لهم مهما كان نوعه وغيرها من المباديء التي تخرج عن الملة .

ولكن هل كان سلف أبي حمزة من هذا القبيل ؟

كلا ، وقد علمت من قبل أن الإمام عبدالله بن إباض قدوة أبي حمزة اعتزل عن هؤلاء وبقي ومن انضم إليه وفيا لمبادئ المحكمة الأولى .

---

(١) أبو حمزة الشاري د/ فرحات الجعبيري ص ١٠١ .

وبهذا نعلم أن أبا حمـزة ليس خارجيـاً لا بمفهـوم الخروج عن الدين ولا بالمفهوم السياسي ونجد ذلك واضحاً في خطبه العصماء ، حيث توضح لنا عقيدته الصحيحة وإسلامه النقي في قمة الاشراق والصفاء .[1]

ومن هنا يتضح أن حركة أبي حمزة ليست حركة خارجية جبارة ، وإنما هي حركة تصحيحية سليمة تريد أن تعرف الناس أن الإسلام الحنيف لا يعترف بالسلطة الاستبدادية كما لا يقبل أي نوع من أنواع الظلم ، إذن فأبو حمزة إباضي وشار إباضي بإنتمائه إلى مذهب أهل الإستقامة الذي نسب بعد فترة من الزمن إلى أحـد أئمتـه الأول وهو الإمـام عبدالله بن إباض الذي كان كثـيراً مـا يخلط الناس بينه وبين عبـدالله بن يحيى (طالب الحق) تبعـاً لما وقع فيـه الشهرستاني ومن نحا نحوه من خطأ محض .

وكلام الشهرستاني وأمثاله كأبي الحسن الأشعري مقدس عند كثير من الباحثين ينقل بحذافيره دون تمحيص أو مناقشة ، وشار ذلك لأن الشراء مسلك من مسالك الدين عند الإباضيـة أو بعبارة العصر منهج من مناهج السياسة .

أما الشراء الذي عرف به أبو حمزة فقد كان رمزاً لمسلك أبي بلال مرداس بن حدير .[2]

والشراء في الأصل يستند إلى قوله تعالى **﴿ومن الناس من يشرى نفسه إبتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾**[3] وإلى قوله تعالى : **﴿إن الله إشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾**[4] . وهو صفة رابحة بين المؤمنين وبين الله ، تتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٢ بتصرف .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٢-١٠٣ .

(٣) سورة البقرة أية (٢٠٧) .

(٤) سورة التوبة أية (١١١) .

ويشترط الإباضية أن يكتمل عدد الشراة أربعين رجلاً فأكثر يبايعوا إماماً وإذا تمت البيعة فلا رجوع إلى الإقامة بل يجوبون البلاد معبرين عن سخطهم عن الباطل .

وأبو حمزة ظل منذ أن اكتمل علمه متنقلا بين أطراف البلاد منادياً إلى قمع الباطل الذي أظهره بنو مروان إلى أن تم له الشراء التام حيث ذهب إلى الحجاز وهنالك جمع بين خصلتين ، الشجاعة النادرة والفصاحة البيانية ، فتمكن من تبليغ ما يدعو اليه من حق ثم أقام الحجة على الخصم ولم يبدأ بالقتال إلا إذا بدأ الطرف الآخر جاز القتال هنا كدفاع عن الحق والعدل وبهذا ندرك ونعلم أن أبا حمزة إباضي شار وليس خارجياً مارقاً ضالاً مبتدعاً .[1]

وتذكر بعض المصادر أن طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي لم يكن إباضياً في الأصل [2] إنما التقى عرضاً في موسم الحج عام مائة وثمانية وعشرين هجرية بأبي حمزة الشاري الذي كان يدعو لمذهب الإباضية ، فاعجب طالب الحق بدعوة أبي حمزة ودعاه إلى مرافقته إلى حضرموت ففعل وهناك بايع أبو حمزة طالب الحق بالخلافة ودعا معه إلى محاربة مروان الثاني (آخر خلفاء بني أمية) قلت : وأنا اتفق مع الدكتور عوض خليفات وتعليله لهذه الرواية أنها غير صحيحة للأسباب التالية :

أولا : جرت العادة عند مشايخ الإباضية في البصرة أن لا يعينوا أحد أتباعهم إماماً أو رئيساً لدعوتهم إلا بعد تدريب دقيق ، وإعداد كاف ، ومن غير المحتمل أن يبايع أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي بالخلافة لطالب الحق نتيجة

---

(١) أبو حمزة الشاري حياة من أجل الحق ص ١٠٣ بتصرف .

(٢) الرسل والملوك للطبري ص ١٤٩٢-١٤٩٣ ، أيضاً ابن الأثير جـ٥ ص ٣٥١ .

التقائه به في مكة المكرمة ولمدة قصيرة جداً ، إضافة إلى ذلك أن أبا حمزة لم يكن إلا داعية فقط ، لا يخرج عن الخطة التي رسمت له من قبل أئمته في البصرة ، فمن غير المعقول أن ينفرد هو بالبيعة لأنها أمر خطير دون الرجوع إلى مركز الدعوة ، ولما عرف عن أبي حمزة أنه يستشير شيخه أبا عبيدة في كل دقيقة وجليلة .

ثانيا : ان التقاء طالب الحق بأبي حمزة في موسم الحج في فترة قصيرة غير كاف أن يجعل من طالب الحق عالماً وفقيهاً وعارفاً باصول المذهب الإباضي وهذه شروط ضرورية يجب أن تتوافر في الشخص المعقود له بالبيعة .

ثالثاً لا يجرؤ أحد أن يبايع آخر بالإمامة إلا إذا أشار عليهم بذلك رؤساؤهم بالبصرة أو على الأقل بموافقة ستة من علمائهم المعروفين بالعلم الغزير ، والفهم الثاقب ، إتباعاً لمنهج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عندما عين ستة من كبار الصحابة لاختيار واحد منهم خليفة للمسلمين ، إضافة إلى ذلك أن طالب الحق كان مرسلاً من عند إباضية البصرة .[1]

وتبعاً لما أوردناه فلعل الباحث يعتقد أن طالب الحق كان في الأصل إباضياً وكان يدعو لمذهبه سراً في (حضرموت) حتى لا يتعرض لاذى من الولاة القيسيين هناك . وعليه فإن المصادر الأخرى من غير مصادر الإباضية قد أغفلت ذكره قبل اعلان قيامه عام (١٢٩) مائة وتسعة وعشرين هجرية ، وأول إشارة في هذه المصادر عن نشاط طالب الحق الداعية في (حضرموت) ترد عندما أرسل طالب الحق إلى أبي عبيدة يخبره بالظلم الذي حل بالناس على أيدي الولاة .

---

(١) نشأة الحركة الإباضية د/ عوض خليفات ص ١٧١ ـ ١١٨ ـ ١١ بتصرف .

قال مؤلف كتاب « نشأة الحركة الإباضية» وعلى أية حال فيبدو أن رسالة طالب الحق جاءت في الوقت المناسب والدولة الأموية كانت في طريقها إلى الإنهيار في أواخر العقد الثالث من القرن الثاني الهجري . (١) ولذا فإن أبا عبيدة قد أمر صاحبه في حضرموت بالتحرك في أسرع وقت ممكن وكتب اليه يقول (إن استطعت أن لا تقيم يوماً واحداً فافعل فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل إنك لا تدري متى يبلغ أجلك ، ولله خيرة في عباده ، يبعثهم إذا شاء لنصر دينه ، ويخصهم للشهادة إكراماً لهم بها) (٢) وأوصاه أيضاً بالسيرة الحسنة والسلوك الطيب وقال «إذا خرجتم فلا تغلوا ولا تعتدوا واقتدوا بأسلافكم الصالحين ، واستنوا بسنتهم فقد علمتم إنما أخرجهم على السلطان العيب لأعمالهم (٣) ثم بعث أبو عبيدة ومشايخ الإباضية في البصرة مالاً وسلاحاً معونة لطالب الحق كما سار اليه بعض إباضية البصرة وعمان لمساعدته وعلى رأسهم المختار بن عوف الشاري ، وبلج بن عقبة وغيرهم . (٤)

ويذكر أن أبا حمزة وبلج بن عقبة قد قدما في رجال من الإباضية لنصرة اخوانهم في العقيدة .

لقد بدأ طالب الحق ثورته في عام (١٢٩) مائة وتسعة وعشرين هجرية (٧٤٦) سبعمائة وستة وأربعين ميلادية بالاستيلاء على (حضرموت) دون مقاومة تذكر ، وقبض على واليها إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي . (٥)

وفي موسم الحج من عام مائة وتسع وعشرين هجرية بعث طالب الحق أبا حمزة الشاري يرافقه بلج بن عقبة الفراهيدي الصحاري وابرهة بن الصباح

---

(١) المرجع السابق ص ١١٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٩ . الأزكوي ورقة ٢٧٠ - الأنساب جـ٢ ص ٣٧٣ - الأغاني جـ٢ ص ٩٧ .

(٣) مصباح الظلام للرقيشي ورقة ٣٢ - الأنساب للبلاذري جـ٢ ص ٣٧١ .

(٤) الأغاني جـ٢ ص ٩٧ - الطبقات للدرجيني ص ١١٠ .

(٥) الأنساب جـ٢ ص ٣٧٣ .

الحميري على رأس قوة عسكرية إلى مكة المكرمة للاستيلاء عليها . وأصدر أمره بأن يتوجه بلج بن عقبة بعد ذلك إلى الشام لمحاربة مروان الثاني واسقاط الخلافة الأموية المتعسفة لتحل محلها الإمامة الإباضية .[١]

وتختلف المصادر حول عدد الجيش الذي قاده أبو حمزة الشاري ، وتتراوح الأرقام التي توردها تلك المصادر بين (٧٠٠ و ١٠,٠٠٠) رجل ، قال الدكتور عوض خليفات «ومن الصعب على المرء أن يقرر في ضوء هذا التناقض الكبير عدد جند أبي حمزة ثم قال : والذي يبدو لي أن عدده لم يكن قليلاً وإلا فكيف يرسله طالب الحق للإستيلاء على الحجاز ويأمر أحد قواده بالتوجه إلى بلاد الشام ومحاربة الأمويين في عقر دارهم» .[٢]

ولقد وافى أبو حمزة الشاري مكة في موسم الحج وانضم اليه إباضية الحجاز بزعامة الفقيه والداعية الإسلامي الكبير الحر بين الحصين ، الذي كان يدعو للإباضية سراً في الحجاز ويعقد مجالسه الخاصة لهذا الغرض يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع . ويقدر عدد أتباعه الذين انضموا إلى جيش أبي حمزة الشاري نحو (٤٠٠ رجل) .[٣]

لقد فوجئ والي الحجاز - آنذاك - عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك ، بظهور الإباضية على جبل عرفات في الوقت الذي كان الحجيج يؤدون مناسكهم على نفس الجبل أو قريب منه .[٤]

ومن المعلوم أن أبا حمزة ومن معه عندما دخلوا مكة لم يشهروا سيفاً ولم يقتلوا أحداً ، وقد أشار بعض الناس على عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك

---

(١) السير للشماخي ص ٩٩ - الأنساب للبلاذري جـ٢ ص ٣٧٥ .
(٢) نشأة الحركة الإباضية ص ١٢٢ .
(٣) الدرجيني ورقة ١١٠ - ١١١ - الشماخي - السير ص ١٠٠ - ١٠١ .
(٤) بلاذري - أنساب جـ٢ ص ٣٧٥ خليفة بن خياط تاريخ جـ٢ ص ٥٨٣ - الدرجيني ورقة ١١١ .

أن يخطب في الحجاج ويحثهم على قتال أبي حمزة وأصحابه حملة العلم والتقوى ، لكن أبا حمزة رفض مناجزتهم رعاية منه - يرحمه ا لله «لحرمة بيت الله الحرام والمشاعر العظام والشهر الحرام» .

وأبدى حرصه الشديد على أن لا يسفك دم حرام في تلك البقعة الطاهرة وردد قائلاً «إننا جئنا حاجين ومعتمرين آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر» . (1)

ولما حان وقت الحج من ذلك العام خرجت وفود الحجيج فلما أن وصلوا إلى عرفة اجتمع الخطباء هنالك فخطبوا وعظموا ذلك اليوم ، ثم قام أبو حمزة وخطب خطبة حيرت المبصر ، وردت المرتاب فقال لهم : «أما ما ذكرتم من تعظيم هذا اليوم فإنكم لم تبلغوا كنه ذلك ثم ذكر جور بني أمية وما هم عليه من ظلم وفسق واعتداء فأفحم القوم»(2) فرجعوا بعد أن سمعوا كلام هذا الداعية الملهم الذي لا يخشى في الله لومة لائم .

فباحتشاد جموع أهل الحق والاستقامة والتي أقبلت من عمان وحضرموت واليمن والبصرة والحجاز اهتزت أركان عرش عبدالواحد بن سليمان بمكة وارتعدت فرائصه فأمر أن تجرى معهم مفاوضة وذلك بعد رفض القائد أبي حمزة مناجزتهم ، وإنما طلب منهم الخضوع لمنهج القرآن الكريم والعمل به .

وهنا بعد الاتفاق الذي ابرم والعهود التي وقعت من الطرفين التي تقضي بعدم الاعتداء في الشهر الحرام واحتراماً لتلك الساحات المقدسة والأرض الطاهرة ، نرى أن عبدالواحد بن سليمان شرع في نقض العهد ، وسببه أن

---

(1) الأغاني جـ ٢ - ص ٩٧ وما بعدها .

(2) الطبقات جـ٢ للدرجيني ص ٢٦٤ .

حليمة المهلبية حضرت موسم الحج في ذلك العام وهي معروفة بفضلها ونزاهتها وورعها وكانت تخدم الجنود (أي جنود أبي حمزة) فصنعت ذات مرة طعاماً ثم بعثت به إلى معسكر الجيش (أبا وافد وابنه) وهما من أفاضل المسلمين، فما أن رآهما الحرس إلا أن قام بتفتيشهما خوفاً من وجود أسلحة معهما وحبسهما ليلة كاملة .

وما أن أشرق صباح يوم جديد إلا والقائد المشهور (أبو حمزة) يرسل إلى الوالي عبدالواحد قائلاً له ما معناه «إننا احترمنا المواثيق والعهود فلم ننقض منها شيئاً وإنما كان النقض منك وأنت مخير إن شئت ناقضناك وإلا وفينا بعهدك». فأمر الوالي باطلاقهما وفاءً للعهد [1] وهذا قدحصل أيام منى [2] علماً بأن القائد المذكور رأى بلج بن عقبة الفراهيدي الصحاري [3] وهو من جنوده البواسل رآه راكباً فرسه ذاهباً لرمي الجمار قال له : «ما حملك على هذا يا بلج؟ فرد عليه لا آمن نقض العهد منهم وغدرهم بنا فإن بدأوا كنا على إستعداد» . [4]

ويجدر بنا أن نشير إلى الكلمات الخالدة التي أوردها أبو حمزة - رضي الله عنه - في خطبته التي القاها في مكة المكرمة نقلاً من كتاب طبقات المشايخ لأن مؤلفه - رحمه الله - أشار إلى أنه وقف في سيرة عبدالله بن يحيى طالب الحق على الخطبتين المطولتين اللتين خطبهما بمكة والمدينة بأبلغ ما يأتي بهما خطيب ، ثم وقف عليهما أوجز من ذلك قليلاً فيما صححه من بعض خطب من غيرنا فآثر أن يثبتها في كتابه المذكور قائلاً «لأن شهادة الخصم لنا أصح من شهادة أخينا لنا، ثم قال خطب أبو حمزة الشاري بمكة - حرسها الله - فصعد المنبر متنكباً

---

(١) الطبقات للدرجيني جـ٢ ص ٣٦٤ .

(٢) أي أيام التشريق .

(٣) أي من علماء صحار من بلد تسمى الخرمة .

(٤) الطبقات للدرجيني جـ٢ ص ٢٦٥ .

قوساً عربية فقال :[1] «يا أهل مكة تعيرونني با صحابي وتزعمون إنهم شباب وهل كان أصحاب رسول الله إلا شباباً نعم ، شباب مكتهلون عمية عن الشر أعينهم ناكبة عن الباطل أرجلهم انضاء[2] عبادة واطلاح[3] سهر نظر الله إليهم في جوف الليل ، مثنية أصلابهم بمثاني القرآن إذا مر أحدهم بآية فيها ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم في اذنه ، وصلوا كلال ليلهم بكلال نهارهم انضاء عبادة قد اكلت الأرض جباههم وأيديهم وركبهم ، مصفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم من طول القيام ، وكثرة صيامهم ، يستقلون ذلك في جنب الله ، موفون بعهده ، منجزون لوعده ، إذا رأوا سهام العدو قد فوقت[4] ورماحهم قد اشرعت ، وسيوفهم قد انصلتت ، وأبرقت الكتيبة وأرعدت بصواعق الموت استهانوا بوعيد الكتيبة لوعد الله فمضى الشاب منهم قدماً حتى تخلف رجلاه عن عنق فرسه . وقد رمت[5] محاسن وجهه الدماء ، وعفر جبينه التراب ، أسرعت إليه سباع الأرض ، وانحطَّ عليه سباع الطير ، فكم من عين في منقار طائر طالما بكى صاحبها من خشية الله وكم من كف بانت من معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في ركوعه وسجوده ، وكم من خد عتيق رقيق قد فلق بعمد الحديد! ، رحمة الله على تلك الأبدان وادخلهم بفضله في الجنان ، ثم قال : الناس منا ونحن منهم إلا عابد وثن وكفرة الكتاب وإماماً جائراً ، ثم قال «صاحب الطبقات» : « وقد حذف راويها منها كثيراً مما خطب به أهل مكة من أنواع التقريع بما أقام عليهم الحجة ، وقطع العذر » .

---

(١) الطبقات جـ٢ ص ٢٦٦-٢٦٧ .

(٢) جمع نضوء وهو الضعيف رقيق الجسم .

(٣) جمع طلح من خلا جوفه عن الطعام .

(٤) من افاق السهم وفُوقه وضع فوقه في الوتر ليرمي به .

(٥) أي ابلت وغيرت محاسن وجهه .

وبعد أن سمع أهل مكة هذه الخطبة العصماء مدوية كلماتها في آذانهم أصيبوا بشيء من الفزع مع أن أبا حمزة بين لهم بقوله «الناس منا ونحن منهم إلا عابد وثن وكفرة الكتاب وإماماً جائراً » يعني أن الأمة الإسلامية جميعاً أمة واحدة على إختلاف مذاهبها وأقطارها .

ولقد حاول أبو حمزة - رحمه الله - جاهداً أن يتفاوض مع عبدالواحد بن سليمان وهو يومئذ على المدينة ومكة وموسم الحج حيث دعاهم إلى الهدنة ، فقالوا نحن بحجنا أظن وعليه اشح ، فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون ، وقد نفذ الفريقان ما اتفقا عليه واخليت مكة ودخلها أبو حمزة الشاري بدون قتال .[1]

ومن مكة مضى أبو حمزة إلى الطائف حيث دخلها دون قتال واعلن لمن بها أنه لن يتعرض لأي منهم بأذى إلا إذا بدأوهم بالعدوان .[2]

ومن الغريب جداً أن رجال الطائف قدموا النساء لاستقبال الشراه ، انها لشجاعة نادرة وماذا يفعل جنود أبي حمزة بالنساء ؟ انهم في حاجة إلى صناديد الرجال وبذلك لم يكن إلا أن اعطوا الأمان للنسوة فرجع الرجال اليها في الحفظ والأمان ، وإذا كان والي الحجاز بعدده وعدته قد لاذ بالفرار فأنَّى للطائف أن تقاوم؟ فالاستسلام عار ولكن أولى من الهزيمة ، لأن الاستسلام معه الحياة بينما الهزيمة معها الموت إن لم يكن للكل فللقليل ولماذا الخطر؟ وقديماً قيل : الجلوس على الربوة اسلم ، وفعلاً وقف رجال الطائف على الربوة فتقدم نساؤهم لنيل الأمانات ووقع ما سعين اليه ، وجاءت «الطائف هي» الأخرى مستسلمة في الظاهر ولكن الباطن غير ذلك .[3]

---

(١) الانساب للبلاذري جـ٢ ص ٣٧٥ .

(٢) المرجع السابق جـ٢ ص ٣٧٨ .

(٣) أبو حمزة الشاري د/ فرحات الجعبيري ص ١١٥ .

ومن المعلوم أن استيلاء الإباضية على مكة ثم الطائف سيثير خبره ـ الخليفة الأموي مروان الثاني ، فما أن وصلت إليه رسالة عبدالواحد واليه على الحجاز تخبره بإستيلاء الإباضية حتى بادر إلى عزله واعداد جيش كبير قوامه فيما يروى ثمانية آلاف رجل .

غير أن هذا الجيش رغم ضخامته لم يفلح في إيقاف الإباضية عندما التقى بهم في معركة (قديد) [١] في شهر صفر عام مائة وثلاثين هجرية .

وجيش أبي حمزة لا يتجاوز الفا وخمسمائة رجل [٢] كان في مقابلة جيش الأمويين المذكور ولكن فرق بين الجيشين إذ أن جيش أبي حمزة مع قلة عدد أفراده يحمل مشعل الايمان في قلبه ، ويجاهد من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا ، أما جيش الأمويين وإن كان عدده كثيراً غير أن قلوب أفراد جنده خاوية من الايمان بالله ، الايمان الصحيح وهدفهم الاستيلاء والعسف والهيمنة .

فجيش أبي حمزة قضى ليلته في مسيرة خاشعة يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم لا يعرفون إلا الأكل الحلال ، راجين من فضله النصر والتمكين وعلى رأسهم قائدهم وقدوتهم وزعيمهم يمتثلون لأوامره لأنهم لم يروا منه منذ خرجوا معه إلا الرعاية المخلصة ينزل منازلهم ويأكل ما يأكلون ، ويتحمل ما يتحملون يركب أحياناً ويمشي أحياناً ، يدرك خطورة المسئولية وأهميتها ، لبسوا جميعاً الاثواب الخشنة وافترشوا الحصباء ، يصدق عليهم وصف قائدهم (موصول كلالهم بكلالهم) .

---

(١) موضع بين مكة والمدينة .

(٢) المرجع السابق ص ١١٧ .

وكان وصولهم إلى «قديد» بعد شهر من وصولهم إلى عرفة ، وفي هذه المرة لم يكن أهل المكان في غفلة وإنما كان العدو يترصد ويتنمر وبهواجس النصر يتغنى ، فلم يكن من أبي حمزة إلا أن أرسل إليهم من يخبرهم أنهم لم يكونوا إليهم سائرين ، وإنما غيرهم يبتغون .[1]

وما أشرق فجر يوم الوصول إلى (قديد) حتى وقف أبو حمزة - رحمه الله - خطيباً يلهب أصحابه بكلماته المؤثرة وحماسه القوي يذكرهم بتقوى الله قائلاً لهم «انكم ملاقوا قومكم غداً ، وأميرهم فيما بلغني إبن عثمان . .[2] وقد وضح الصبح لذي عينين فأكثروا ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، ووطنوا أنفسكم على الصبر» .[3]

ويروى أن إبا حمزة قبل بدء المعركة سألهم عن سيرة ولاتهم (أي الأمويين) فأجابوه أنهم يأكلون المال الحرام ، ويرتكبون صنوف الموبقات ويأتون أنواع المحرمات فوجه اليهم دعوة تهدف إلى الالتفاف نحو راية الإسلام والوقوف إلى جانب صفه ضد الفساد والمفسدين ، فامتنع القوم لأن نفوسهم مجبولة بحبها الملذات ، وأخلدوا إلى ما هم عليه من الترف والنعيم ، ثم طلب منهم أن يكفوا أنفسهم عن التدخل بينه وبين أهل المدينة ، ولكنهم أبوا وأصروا ، وبدأ العدو بقتالهم ، علماً أن القائد أبا حمزة قال لجنده « لا تبدأوهم بالقتال إلا أن بدأوكم به» فبدأ الخصم ورموا جند أبي حمزة الشاري ، وفي تلك الحال صدرت الأوامر منه - رحمه الله - لجيشه أن يدافعوا عن أنفسهم .[4]

---

(١) أبو حمزة الشاري ص ١١٨ بتصرف .

(٢) هو عبدالعزيز بن عبدالله بن عثمان بن عفان

(٣) الأنساب للبلاذري جـ٢ ص ٣٧٧ .

(٤) الإباضية منهجاً وسلوكاً - من مؤلفاتنا .

ولقد وصلت أنباء معركة (قديد) أهل المدينة لأن عيون أبي حمـزة غير غافلة عن تبليغ أخبـارهم خبراً بعد خبر ، إضـافة إلى أن أبا حمـزة يعلـم علم اليقين أن القائد الأمـوي هو حفيـد الخليفة عثمان بن عفـان ، وأدرك ما وراء هذا الاختيار من خطر ، لذلك نبه أصـحابه ليردوا المثل بالمثل والقضية حساسة آنذاك وإن صـرنا نقول الآن «تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلنطهر منها ألسنتنا» .[1]

وإنما هو التاريخ يجب أن يروى بأمانة ، ثم يبين لجنوده «أن خيـر الزاد التقوى» وما أحسن أن يكون زاد المجاهد ذكـر الله تعالى ، وتـلاوة القـرآن ، أو ليس هؤلاء قراء أبناء القراء ؟ ثم كلمة الختام تؤكد أن المطلوب مع ذلك كله عدم الغرور بالنفس ، وتوطينها على الصبر لأن القتال قتال ، والنفس تكره الموت ، وإن كانت ترغب في الشهادة .[2]

وكانت معـركة (قديد) ذروة انتـصارات أصحاب طالب الحق إذ أصبح بذلك وهو المسيطر على الجزيرة العربية . . وقد أصبح للإباضية دولة وإمامة تمتد من حضرموت إلى صنعاء ، إلى مكة المكرمة ، إلى المدينة المنورة . . دولة يقيم فيها الإباضية سياستهم سياسة الحق والعدل ، والعمل بالكتاب العزيز والسنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وازكى السلام .

ولكن هذا الانتصار الباهر الذي أحرزه الإباضية (بقديد) قد دفع بالخليفة الأموي إلى أن يعيد تنظيم صفوفه ، فجّيش جيشاً آخر بقيادة عبدالملك بن محمد بن عطيه السعدي القيسي وسار به إلى الحجاز . . حيث تقابل مع الإباضية في وادي القرى ، والحق بهم هزيمة كبيرة .

(١) أبو حمزة الشاري حياة من أجل الحق د/ الجعبيري ص ١١٨ .

(٢) المرجع المذكور ص ١١٨ .

وهذه الهزيمة التي مني بها أهل الحق والاستقامة وقعت بعد دخول أبي حمزة الشاري ومن معه - المدينة المنورة - ليبلغوا هنالك دعوة الله آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر حيث كانت دولـة بني أمية في ذلك الوقت قد انتهكت حرم - الحرم النبوي الشريف - كما فعلوا في مكة المكرمة .

فلقد استباح يزيد بن معاوية حرم رسول الله - ﷺ - و قتل نحو عشرة آلاف أو يزيدون من أصحاب رسول الله - ﷺ - في واقعة (الحرة)[1] المشهورة التي لم تبق بدريا كما انتهك بعض جنده حرمة العذارى من بنات المهاجرين والأنصار فحملت منهن ثلاثمائة عذراء .[2]

وقبل وصول جيش أبي حمزة المدينة ، أرسل اليهم قائده المخلص والشجاع الهمام بلج بن عقبة الفراهيدي الصحاري في ثلاثين رجلاً من خيرة أصحابه «فذكرهم الله تعالى وسألهم أن يكفوا عنهم وقال لهم خلوا لنا سبيلنا لنسير إلى من ظلمكم وجار في الحكم عليكم ولا تجعلوا حدثاً بكم فإنا لا نريد قتالكم» .[3]

لأنها كلمات خالدة يرسلها لسان مؤمن لعله يجد مستجيباً لتلك الكلمات ، لأن مثل هذه الكلمات لا تصدر إلا من رجل صاحب حصافة في الرأي ورجاحة في العقل ، حيث انها تذكرهم الله عز وجل وتنهاهم عن إراقة الدماء وتكشف لهم مهمة أهل الاستقامة وغرضهم من تلك الحركة الدؤوبة في أرض الله ، جل همهم دفع الظلم عن أهل المدينة بالذات .

---

(١) مكان معروف خارج المدينة المنورة .

(٢) من محاضرة لسماحة الشيخ/ أحمد بن حمد الخليلي .

(٣) ن م - ٢٣/١٢٣ .

ونحن نعلم أنهم شكوا للخليفة هشام بمرآى ومسمع من أبي حمزة ما أصابهم من بلاء فزادهم بلاءً على بلاء ثم ان تصريح (بلج بن عقبة) واضح وضوح الشمس إذ يؤكد في ختامه أن جيش الشراة أهل الحق والاستقامة ليس لديه الرغبة في قتال أهل المدينة ويطلب منهم بالحاح بأن لا يضعوا العقبات أمام صوت الحق الذي جاء ليقضي على أنفاس صوت الباطل .

ولكن كيف لهؤلاء المترفين أن ينتبهوا من غفلتهم وأن يستيقظوا من سباتهم إذ أخلدتهم الراحة والدعة إلى ما وقعوا فيه ، أضف إلى ذلك أن الكثير منهم يفور قلبه بالاحقاد الدفينة لكل شار معتبر إياه خارجاً عن الملة الإسلامية .

وتأمل أيها القاريء الكريم كيف كان جواب أولئك المترفين؟ حيث شتموا دعاة الحق قائلين لهم «أنحن نخليكم وندعكم تفسدون في الأرض» . [١]

غريب جداً أن يبقى دعاة الحق أعداء الله في نظر هؤلاء المترفين ، وقد ملؤا الدنيا نوراً وهدى كما اعترف الجميع فيما بعد بالسيرة العطرة التي سارها عبدالله بن يحيى في اليمن .

ولا يمكن بحال من الأحوال أن يصدر الرد من دعاة الحق إلا الرد المنطقي الذي يكمكم الأفواه «يا أعداء الله أنحن نفسد في الأرض؟ إنا خرجنا لنكف أهل الفساد؟ ونقاتل من قاتلنا واستأثر بالفيء ، فانظروا لأنفسكم واخلعوا من لم يجعل الله له طاعة ، فإنه لا طاعة لمن عصى الله ، وادخلوا في السلم . ، وعاونوا أهل الحق» . [٢]

---

(١) ن.م-٢٣/١٢٣ .
(٢) ن.م-٢٣/١٢٤ .

وهكذا حـدد بلج سـبب الشـراء هو ظلم بني أمية وبين أساسـه وهـو ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، ثم دعاهم دعـوة صريحة إلى خلع بيعة مروان بن محمد لكونه يمثل رمز عصيان الله والاقبال على معاونة الحق .[1]

فأفحم عبدالعزيز القائد الأموي بالحجة القاطعة والمحجة الساطعة فرجع إلى الماضي من جديد وقصده من ذلك الإثارة وقد أفلح في اختيار القائد الذي يحقق الغرض المطلوب، وكان جواب (بلج) إنه في القضية مقلد تابع ، وفوراً يعلنها عبدالعزيز مدوية «إرجع إلى أصحابك فليس بيننا وبينهم إلا السيف» .[2]

وما درى القائد الأموي أن الاقدار بيد الله سبحانه ولله في أمره شؤون ، وان الحق هو الغالب دائماً وان تمادى الباطل ، وان نصر الله عز وجل وعد منه لرسله وحملة دعوته حيث قال سبحانه ﴿**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد**﴾ .[3]

وقال أيضاً ﴿**وان جندنا لهم الغالبون**﴾ .[4] وقال سبحانه ﴿**والعاقبة للتقوى**﴾[5] وقال جل ذكره ﴿**والعاقبة للمتقين**﴾ .[6]

فرجع بلج ومن معه من الشراة إلى القائد أبي حمزة رافعاً إليه تقريره عما أسفرت عنه المحادثات من فشل وما رآه في القائد الأموي من كبرياء وصلف.

ورغم الاستفزاز الأموي وتصريح قائده أنه (لم يبق إلا السيف) نجد أن أبا حمزة لم يخالف منهج الإباضية الشراة الذين قالوا «لا نقاتل إلا من قاتلنا» وقال لأصحابه «كفوا عنهم ولا تقاتلوهم حتى يبدأوكم بالقتال» .[7]

---

(١) أبو حمزة الشاري ص ١١٩ .

(٢) ن.م-١٢٤/٢٣ .

(٣) سورة غافر آية ٥١ .

(٤) سورة الصافات أية (١٧٣) .

(٥) سورة طه أية (١٣٢) .

(٦) سورة الأعراف آية (١٢٨) .

(٧) ن.م-١٢٣/٢٣ .

وهذه الكلمات الخالدة من أبي حمزة تبين لنا حرصه على تطهير أيديهم من دماء أهل المدينة ، لكن أبى هؤلاء العتاة المستعلون في الأرض إلا المواجهة فكان ما ليس منه بد .

وعندما وصل الشراة المدينة المنورة يتقدمهم قائدهم أبو حمزة الشاري سار أولاً إلى مسجد رسول الله - ﷺ - حتى أتى المنبر فقبل عتبته ، ثم صعده والقى خطبته المشهورة قائلاً بعد حمد الله والصلاة والسلام على نبيه محمد «أوصيكم بتقوى الله وطاعته والعمل بكتابه وسنة نبيه - ﷺ - وصلة الرحم وتعظيم ما صغرت الجبابرة من حق الله عز وجل ، وتصغير ما عظمت من الباطل واماتة ما احيوا من الجور ، وإحياء ما أماتوا من الحقوق ، وان يطاع الله ، ويعصى العباد في طاعته والطاعة لله عز وجل ولأهل طاعته ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، والقسم بالسوية ، والعدل في الرعية ، ووضع الأخماس مواضعها التي أمر الله بها .

إنا والله ما خرجنا أشرا ولا بطراً ، ولا لهواً ولا لعباً ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيها ، ولا لثأر قد نيل منا ولكن لما رأينا الأرض قد أظلمت ، ومعالم الجور قد ظهرت وكثر الادعاء في الدين ، وعمل بالهوى ، وعطلت الأحكام وقتل القائم بالقسط ، وعنف القائم بالحق ، سمعنا مناديا ينادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فأجبنا الداعي إلى الله **﴿ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين﴾** [1] فأقبلنا من قبائل شتى قليلين مستضعفين فآوانا الله وأيدنا بنصره فأصبحنا بنعمة الله إخوانا وعلى الدين أعواناً .

---

(١) سورة الاحقاف رقم ٣٢ .

يا أهل المدينة أولكم خير أول وآخركم شر آخر انكم اطعتم فقهاءكم وقراءكم فأحالوكم على كتاب الله عز وجل غير ذي عوج بتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين فأصبحتم عن الحق ناكثين، أمواتاً غير أحياء وما يشعرون .

يا أهل المدينة ، يا أبناء المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان ، ما أصلح أصلكم وأفسد فرعكم كان آباؤكم أهل اليقين ، وأهل المعرفة بالدين، والبصائر بالدين ، والبصائر النافذة ، والقلوب الواعية ، وأنتم أهل الضلالة والجهالة ، إستعبدتكم الدنيا فأذلتكم وغرتكم الأماني فأضلتكم ، فتح الله لكم بابا في الدين فسددتموه واغلق عليكم باب الدنيا ففتحتموه ، سراعا إلى الفتنة ، بطاءً عن السنة عميا عن البرهان ، صما عن القرآن ، عبيد الطمع ، حلفاء الجزع ، نعم ما أورثتكم آباؤكم لو حفظتموه وبئس ما تورثون أبناءكم أن تمسكوا به ، وأخذوه ، نصر الله آباءكم على الحق ، وخذلكم على الباطل ، كان عدد آبائكم قليلاً طيباً ، وعددكم كثيراً خبيثاً ، اتبعتم الهوى فأرداكم ، واللهو فألهاكم ، ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزدجرون ، وتعبركم فلا تعتبرون .

سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فقلتم فهم الذين تعلمونه ونعلمه ، أخذوا المال من حله فوضعوه في غير حقه ، فجاروا في الحكم فحكموا بغير ما انزل الله عز وجل .

واستأثروا بالفيء فجعلوه دولة بين الأغنياء منهم ، وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا في مهور النساء ، وفروج الإماء وقلنا لكم تعالوا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم، وجاروا في الحكم وحكموا بغير ما أنزل الله ، فقلتم لا نقوى على ذلك وددنا انا أصبنا من يكفينا ، فقلنا : والله نحن نكفيكم ثم

والله لئن ظفرنا لنعطين كل ذي حق حقه فجئنا ، واتقينا الرماح بصدورنا ، والسيوف بوجوهنا ، فعرضتم لنا دونهم فقاتلتمونا فأبعدكم الله عز وجل ، فوالله لو قلتم لا نعرف الذي تقولون ، ولا نعلمه ، لكان أعذر لكم ، على أنه لا عذر في الجهل ، ولكن أبى الله إلا أن ينطق بالحق على ألسنتكم ، ويأخذكم به في الآخرة ثم قال : الناس منا ونحن منهم إلا ثلاثة حاكم بغير ما أنزل الله ، ومتبع له ، وراض بعمله ثم نزل .

فالله يتولى السرائر من عباده ، ويجازي عليها ، فهذا كلام لا مطعن فيه لطاعن ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .[1]

ومن المعلوم علما يقينياً أن أبا حمزة له مجموعة خطب القاها على مدى أشهر قضاها في حركته الاصلاحية ومن الصعوبة بمكان أن نجمعها جميعها في هذا البحث المختصر .

وتذكر بعض المصادر بالنسبة عندما جاء إلى الحرم النبوي ليلقي خطبته الآنفة الذكر ، صعد منبر رسول الله ـ ﷺ ـ ووضع جبهته على الموضع الذي كان رسول الله ـ ﷺ ـ يضع قدميه عليه فبكى واشتد بكاؤه ، ثم قال : آه ، كم قدم عاص لله عاملة بغير كتاب الله ، مؤثرة هواها على غير رضاء الله ورسوله ، قد وضعت موضع قدم رسول الله ـ ﷺ ـ فأين كانت كبرياء المسلمين وجلوسهم؟ قال : فحمد الله واثنى عليه ، ثم ألقى خطبته .[2]

---

(١) الطبقات جـ٢ ص ٢٦٧ـ٢٦٨ـ٢٦٩ .

(٢) الأغاني ٢٣ ص ١٣٠ .

وتضيف بعض المراجع أن أبا حمزة الشاري لما دخل المدينة في أصحابه كان عليه قميص وكساء صوف مصبوغ وهو متعمم بعمامة بيضاء وسيف عريض ، حمائله ليف متقلد السيف وعلى أصحابه مثله ، قال من رآه وهو عيسى بن عبدالحميد ـ حسبما يذكر الهيثم بن عدي الطائي ـ «ولم أر هيئة قط أحسن من هيئتهم ولا وجوهاً أحسن من وجوههم شباب كلهم » .[1]

ان المتأمل في خطب أبي حمزة الشاري يجد فيها الشهامة والعفة والنزاهة في هؤلاء القادة الميامين الذين وضعت في أيديهم أمانة الله فرعوها حق رعايتها وأمانة الأمة فحفظوها من أنفسهم ، وحفظوها من عدوان المفسدين .[2]

وقد رأيت كيف انتصر الحق على الباطل في المدينة المنورة ؟ فطهرت أزقتها وشوارعها من الخمور واللهو والفساد ، وارتفعت أعلام الحق في سمائها وتصبح خطب أبي حمزة مجموعة وثائق تاريخية تبرهن للناس العديد من مواقف الشراة في العقيدة والسياسة وما إلى ذلك .

وانني أهيب بطلبة العلم ودعاة الإسلام أن يجعلوا من هذه الخطب نبراساً مضيئاً يرسم لهم طريق الحق والنور والهدى ، ويجعل من مواقف أبي حمزة ومن معه من الشراة تدريباً عسكرياً في القضاء على من تسول له نفسه أن يخدش بالإسلام وبكرامته .

وما انتصار أبي حمزة ذلك الانتصار الباهر في معركة (قديد) إلا دليل واضح على الاستبسال الموصول بالإيمان بالله وحده ، ولكن أعداء الإسلام في كل وقت لا يقر لهم قرار ، ولا يهدأ لهم بال، في وضع الخطط ونصب

---

(١) أبو حمزة الشاري د/ فرحات الجعبيري ص ١٢٥ .

(٢) الإباضية سلوكاً ومذهباً ـ من مؤلفاتنا ص ٢٢ .

العقبات الكأداء من أجل الأخذ بثأرهم ، فنجد أن الدولة الأموية رغم تصدع أركانها قد استطاعت أن تصد جميع الثورات الهجومية ، لكنها تحطمت أمام بناة الملوك الجدد الذين كانوا من نفس الطينة ، خططوا وتربصوا وانتظروا الفرصة السانحة فأدركوا الملك الذي يطلبون ولم يربح العالم الإسلامي إلا تغير الاسم من عصبية أموية إلى عصبية عباسية توارث أصحابها الملك ردحاً من الزمن ليس بالقصير .

انطلق أبو حمزة بعدد قليل وبإيمان راسخ ليجهز على الدولة الأموية في عقر دارها ، وكما علمنا كانت الخطة أن ينقسم هذا القليل إلى شطرين نصفه إلى الحجاز والنصف الآخر لبلاد الشام .

وفعلاً استطاع هذا العدد المؤمن بربه أن يحقق ما كان يصبوا إليه في الحرمين الشريفين ، وكم كان يرجو أن يكون ذلك بدون إسالة دماء .

وكان يطمح أبو حمزة وأصحابه إلى أنهم بوصولهم إلى تخليص الحرمين على مرأى ومسمع من حجاج بيت الله الحرام الذين وفدوا اليه من مختلف الامصار سينضم اليهم كل صوت لاحياء الامامة العادلة ، ولكن هؤلاء جميعاً بقوا متفرجين وكانوا لمن له الغلبة ولو كان جباراً مناصرين إلا من رحم ربك - وهم قليل - .[1]

والخلاصة أن عمر الامامة العادلة في تلك البقاع الطاهرة (الحرمين الشريفين) ما عاشت إلا أياماً قلائل مع أبي حمزة الشاري ، والأمر لله وحده .

---

(١) أبو حمزة الشاري ص ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ .

ومن المعلوم أن المؤمن يبتلى في نفسه وفي عمله فلقد بيّت لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - السم كما بيت لأبي حمزة وأصحابه المحاربة والتقتيل، وما ضرهم - رحمهم الله - أن تبقى أجسادهم مصلوبة كما هو الحال في جسد قائدهم أبي حمزة الذي بقى جسده مصلوباً ورأسه في متحف الأمويين محفوظاً مادامت روحه وأرواح أصحابه في عليين ، «في مقعد صدق عند مليك مقتدر» .

« ولقد وقع ذلكم التقتيل بهؤلاء الاساطين عندما أقبل جيش مروان المكون من أربعة آلاف قادماً من الشام بخطى حثيثة يقودهم عبدالملك بن عطية السعدي واعطى كل رجل من أصحابه مائة دينار وفرساً عربياً ، وبغلة لثقله وأمرهم أن يمضوا فيقتلون المؤمنين » .[1]

ولم يكن قبول عبدالملك بن عطية لقيادة هذه الحملة لوجه الله وإنما كان مقيداً بشرط هو «وشرطوا على مروان أنه إذا قتلوا عبدالله بن يحيى وأصحابه رجعوا إلى الجزيرة ولم يقيموا بالحجاز فأجازهم إلى ذلك » .[2]

فماذا يصنع أبو حمزة أمام هذا الجيش اللّجب؟ فهل يرجع القهقراء ؟ كلا : انه الشراء الصادق مهما كان الثمن والشهادة المطلوبة مهما كلف الحال أو الامامة المنشودة وكلاهما خير .[3]

فالتقى الجمعان وبدأت أول المناقشات بين الطرفين واحتل كل مكانه استعداداً للمواجهة فلم يكن من (بلج الفراهيدي) إلا أن أقام الحجة فدعا عبدالملك بن عطية قائد الجيش الأموي ومن معه إلى كتاب الله وسنة نبيه مذكراً

---

(١) الأغاني جـ٢٣ ص ١٤٠ .

(٢) الأغاني جـ٢٣ ص ١٤٥

(٣) أبو حمزة الشاري ص ١٤٩ .

بانحراف بني أمية وبظلمهم وتعسفهم وقصده ـ رحمه الله ـ بموقفه ذلك نصرة الحق واحياء الخلافة الراشدة .

ولكن ما كان لابن عطية أن يسكت وهو الذي جاء معتزاً بقوته ومعتبراً أن الحق مع بني مروان فقط فانهال على أبي حمزة وأصحابه شتماً وسباً وإحتقاراً، معتبراً إياهم أعداء الله ومبيناً انهم أحق بأن يوصموا بالظلم من بني أمية الذين لم يعرف المسلمون معهم إلا خيراً حسب زعمه .

فبدأت الجولة الأولى من الهجوم من قبل الجيش الإسلامي لادخال الاضطراب والفوضى في جيش العدو، حيث حمل (بلج بن عقبة) وأصحابه على جيش الشام وخلال هذا الهجوم كاد الفرق والجزع يدخل في قلوب الأعداء، لكن عبدالملك كان ذا حنكة ودراية بالخطط الحربية التي ينتصر بها العدد القليل على العدد الكثير، ولا ريب ان القاسم الثقفي مستشاره قد وصف له ذلك وبين له مغبة الانقضاض من الشراة الذين يطلبون الموت كما يطلب غيرهم الحياة . ودخل الهجوم جولته الثانية حيث نادى المنادي من الجيش الذي كاد ينهد له جيش الشام « يا أهل الشام يا أهل الحفاظ ناضلوا عن دينكم وأميركم »[1] فثارت فيهم الحمية والكبرياء، وبدل أن يتفرق شملهم ويتشتت جمعهم وقفوا صامدين فحملوا حملتهم الشعواء على القائد العظيم (بلج بن عقبة) الذي يعدل الفاً وهم على يقين انهم لو قتلوه لاقترب النصر منهم، وفعلاً لم يهدأ لهم بال ولم يستقر لهم حال حتى قتلوا (بلجا) والكتيبة التي كانت تؤازره وتشد عضده .

---

(١) أبو حمزة الشاري ص ١٤٩ـ ١٥٠ .

وبهـــذا الصـنيع انخمـدت المعــركـة في يومهـــا الأول بعـد استشـهـاد القائد (بلج).

ولم يبق من جيش (بلج) إلا عدد يسير يقدر بسدسه نظراً إلى العدد الذي استشهد في الجولتين السابقتين وهم خمسمائة فانحاز من تبقى منهم إلى جبل من جبال المدينة بقيادة (ابرهة بن عبدالله بن الصباح الحميري) واستمرت المناورات بينهم وبين ابن عطيـة ثلاثة أيام، وكـان غـالـب القـتلى من الجـيش الأموي، لكن الكثرة تحدق بهذه القلة فأحس (ابرهة) أنه لم يبق من أصحابه إلا ثلاثون، فحاولوا جاهدين أن يلتحقوا بأبي حمزة في المدينة المنورة ظانين أنهم فروا من الزحف وكان ذلك بالليل، وكان القائد يطمئنهم انهم برجوعهم ذلك لا يعتبر فراراً وإنما هو انحياز إلى فئة من فئاتهم كما قال سبحانه **﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾**.[٢]

وهكذا تنتهي هذه المعركة بعد أربعة أيام أذاق فيها الشراة الجيش الشامي الأمـوي الويلات تلو الويلات إذ كـاد جـيش الشــراة - رغم قلة عــددهم - أن ينتصروا في الجولة الأولى لكن العدد المدرب والعدة القوية قد غلبت هذه المرة، وما ذلك بغريب في المقاييس العسكرية.[٣]

فما صنع أبو عطية السعدي إلا أن يسير على نهج أسلافه من قادة الجيش الأمـوي فنصب رأس (بلج) على رمح وطاف به في أطراف جنده ولكنه هل

---

(١) الأغاني جـ٢٣ ص ١٤٧.
(٢) سورة الانفال أية (١٦).
(٣) أبو حمزة الشاري د/ الجعبيري ص ١٥٠.

اقتصر على ذلك؟ لا ، بل همسه في رأسين آخرين : رأس أبي حمزة ورأس الامام عبدالله بن يحيى (طالب الحق) وليبدأ باقربهما إليه في المدينة .

وعندما وصل (ابرهة الحميري) إلى المدينة أدرك أبو حمزة أنه لا سبيل إلا في الوقوف أمام ابن عطية ومن معه ، وهذا ليس بالامكان إلا إذا جاءه المدد من اليمن فاستخلف واليا على المدينة المنورة وتوجه نحو مكة . وكان الأولى به ـ رحمه الله ـ أن يترك المدينة وأن يأخذ معه جميع أصحابه استعداداً للمواجهة الحاسمة .

وفعلاً لم يكن من عمر بن عبدالرحمن بن الخطاب إلا أن جمع السوقة والبربر والعبيد وهجموا على والي المدينة ومن معه ، فقتلوا من قتلوا وفر آخرون لاحقين أصحابهم بمكة .

وبهذا الصنيع من عمر دخل عبدالملك بن عطية المدينة بكل يسر وسهولة وعادت للدولة الأموية بعد أن خلت من أهل الحق والعدل ، وبقي شهراً مقيماً بها متربصاً اقتناص رأس أبي حمزة .

ولعل أبا حمزة قد أخطأ في مثل هذا الاجراء وهذا ما اعتبره أقرب أصحابه اليه وهو أبو الحر علي بن الحصين الذي مازال يلح عليه بأن لكل زمان سيره ولكن أبا حمزة أبى إلا أن يقف عند الحدود الملتزمة .

ولنتأمل في الحوار الذي دار بين أبي حمزة وأبي الحر «فقال لأبي حمزة» أني قد كنت أشرت عليك يوم (قديد) وقبله أن تقتل هؤلاء الأسرى كلهم فلم تفعل واخبرتك بأنهم سيغدرون فلم تقبل حتى قتلوا المفضل وأصحابنا المقيمين بالمدينة وانا اشير عليك اليوم ان تضع السيف في هؤلاء فإنهم كفرة فجرة

ولو قدم عليك أبو عطية لكانوا عليك أشد منه، فقال : انهم سيغدرون فقال : ابعدهم الله ﴿**فمن نكث فانما ينكث على نفسه**﴾ .[1]

ومن هذا الحوار تتبين مدى الخبرة الحربية التي يعرفها أبو الحر ، بينما ميز أبو حمزة بين الحرب والسلم فإذا حطت الحرب أوزارها فلا سبيل إلى القتل ومادامت بيده القيادة فقد طبق سيرة السلف كاملة واعتبر من القدر أن يقتل الذين دخلوا في الطاعة، ولكنهم في الحقيقة مكرهون على الطاعة فما أن حانت الفرصة حتى صدق فيهم قول أبي الحر لعلمه بحركاتهم ودهائهم لأنه عاش بينهم مقيماً سنين عديدة .

ولايزال أبو عطية ومن معه يضعون الخطط التكتيكية التي تقف ضد أبي حمزة ، فقسم جنده إلى قسمين : قسم بالابطح وقسم بأسفل مكة قريباً من مقر أبي حمزة .

ومن الوفاء الذي يتمتع به أبو حمزة أنه لما التقى بابن عطية قال «لا تقاتلوهم حتى تخبروهم ، فصاح بهم ما تقولون في القرآن والعمل به؟ فصاح ابن عطية نضعه في جوف الجوالق، قال فما تقولون في مال اليتم؟ قال : نأكل ماله ونفجر بامه . . فلما سمعوا كلامهم قاتلوهم» .[2]

هنا اضطر أبو حمزة أن يوجه (ابرهة) في ثمانين فارسا إلى الابطح فقاتل أهل الشام قتالاً قوياً وردهم القهقراء حتى وصلوا عقبة منى .

وبهذا الموقف المشرف افلح (ابرهة) في جولته هذه ولو كان وراءه مدد لاستطاع أن يواصل النصر ، ولكن أين العدد والقسم الثاني من الجيش في

---

(١) سورة الفتح أية (١٠) .

(٢) الأغاني ج٢٣ ص ١٤٣ ، ص ١٤٥ .

الواجهة الثانية وهناك وقف أهل الشام على عقبة (منى) وعبوا من بقي في جيشهم وهم على علم بضآلة العدد المقابل وعملوا على قتل القائد ولكن ليس عن طريق المواجهة ، وإنما في هذه المرة كمن له (هبار القرشي) وهو على خيله فقتله عند بئر معروفة هناك ، وهكذا نرى سقوط القائد الثاني من أعضاد أبي حمزة .

إذن فماذا يصنع أبو حمزة الآن ؟ لم يبق له إلا أن يحسم الموقف بنفسه ، وتم اللقاء المرتقب بين ابن عطية وأبي حمزة في أسفل مكة ، وكان ضارياً مستعراً في بداية المواجهة ولكن ما علم أهل مكة بانكسار المواجهة الأولى حتى أقبلوا يزفون ، وصدق فيهم قول أبي الحر لأبي حمزة «ولو قدم عليك ابن عطية فكانوا أشد عليك منه» وحوصر أبو حمزة ومن معه ، فقاتلوا إلى آخر رمق واستشهد أبو حمزة الشاري [1] واستشهدت معه زوجته وهي ترتجز :

[2] أنا الجيعداء بنت الأعلم	من سأل عن اسمي فاسمي مريم

بعت سواري بسيف مخذم

ولم يبق بعد أبي حمزة من قادة الحركة إلا أبو الحر علي بن الحصين ، ولم يقر للأمويين قرار إلا بعد أن حاصروه في دار من دور قريش فاضرموا فيها النيران مما دفعه إلا أن يرمي بنفسه ، فقاتلهم حتى اسر ، وما كان هؤلاء لديهم من رحمة حتى على الأسرى وخاصة على رجل من أمثال أبي الحر الذي انفلت من أسرهم من قبل باعجوبة .

---

(١) الكامل لابن الاثير - حوادث سنة ١٢٨ - ١٣٠ هـ ويفهم فيه أن أبا حمزة قتل في وقعة وادي القرى ويفهم مثله من الطبري في تاريخه حوادث سنة ١٣٠ هـ خلافاً لما في السير للشماخي ٩٨ - ١٠١ ولما في مروج الذهب من انه قتل بمكة .

وفي الشذرات جـ١ ص ١٧١ أنهم ساروا إلى وادي القرى ولقيهم عبدالملك السعدي فقتلهم ، ولحق رئيسهم إلى مكة فقتله أيضاً هامش الاعلام للزركلي ص ١٩٢

(٣) أبو حمزة الشاري ص ١٥٢ .

وهكذا نجحت خطط عبدالملك بن عطية التي ادخلت الارتباك في الاقلية الإباضية مع ما ظهر من سلاح جديد لم يعرف من قبل»[1] «ومنهم من عليه درعان أو درع وسنور وتجافيف وعدة لم ير مثلها في ذلك الزمان».[2]

ثم ماذا صنع ابن عطية ومن معه إلا أن يصولوا ويجولوا لأسر من بقي من أصحاب أبي حمزة الشاري فدعا بهم لينتقم منهم الانتقام النهائي .

وعلى طريقة الأمويين لا يشفى غليلهم بعد تحقيق القلة إلا صلب أجساد رؤوس الحركة ، وفي هذه المرة كان الصلب من نصيب أبي حمزة وابرهة بن الصباح وأبي الحر علي بن الحصين ، ورجلين من أصحابهم على فم (شعب الخيف بمنى) «ولم يزالوا مصلوبين حتى بلغ الأمر إلى بني العباس» وحج مهلهل الهجيمي في خلافة إبي العباس ، فانزل أبا حمزة ليلاً فدفنه ودفن خشبته» .[3]

أما من بقي من أصحاب أبي حمزة فإنهم بمركز الإمامة باليمن وتروي بعض المصادر أن بعضهم التحق بالبصرة (مركز الدعوة) .

وهكذا بعد هذه المعركة التي حمي فيها الوطيس عادت الحجاز إلى دائرة الاستبداد والفساد والظلم والعسف ، بعد أن حرص أبو حمزة كل حرصه على اذاقة أهلها لذة الاستقرار والعدل والانصاف ما يقارب سبعة أشهر ابتداء من دخولهم في التاسع من ذي الحجة سنة مائة وتسع وعشرين هجرية ، سبعمائة وست وأربعين ميلادية حتى لحظة استشهاد أغلبهم في المعركة الضارية التي دارت في مكة المكرمة التي كانت في نهاية جمادى الثانية أو بداية شهر رجب .

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٣ .

(٢) انظر الطبري تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص ٤٣١ .

(٣) الأغاني للأصفهاني جـ٢٣ ص ١١٤ .

وبهذه الصورة تنتهي حياة المناضل أبي حمزة الشاري الصحاري الذي أبى إلا أن يموت شهيداً من أجل نصرة الحق وإقامة العدل واحياء الخلافة الإسلامية التي سار عليها الخلفاء الراشدون المصلحون ويبقى جثمان شهيد الإسلام مصلوباً سنتين كاملتين ، كما قال الدكتور فرحات الجعبيري (صامداً لعوادي الزمن)[1] ليشهد سقوط الدولة الأموية المتعسفة التي طالما رجا من الله سقوطها لتقوم الخلافة الإسلامية وإنما صار الأمر عكس ذلك ، قامت دولة أخرى لا تقل عنها تعسفاً وجوراً .

أما رأسه ـ رحمه الله ـ فقد نعم بما لم ينعم به في حياة صاحبه إذ وصل إلى قصر مروان ، ونحن نعلم أن أفخم هدايا أنصار الخليفة رؤوس الذين يدعون إلى حكم الرحمن ويلحون على مخالفة حكم مروان ، ويكفي أبا حمزة الشاري ومن معه فخراً ومكانة أنهم لم يستسلموا ولا واحد منهم بل بقوا على محافظتهم على ما التزموا به من المبادىء تجاه الذين اقروا بالطاعة ، فلم يلقوا الله خائنين ، وانما استشهدوا مستميتين من أجل نصرة الحق والعدل .

ويكفيه شرفا وفخراً أنه عاش عزيزاً حميداً ومات شهيداً ، وماتزال ذكراه ترددها الألسن أنه من أهم رموز الشراء فهو الشاري ان ذكر الشراه ، وهو الخطيب إذا ذكر الخطباء ، وهو البطل إذا ذكر الأبطال .

لقد بلغ كل هذه المنزلة في علمه وشجاعته وفي اجلال المسلمين له في حياته وبعد مماته .

كان طاهر الكف ، طاهر الذمة ، طاهر السريرة حسن السيرة .

---

(١) أبو حمزة الشاري ص ١٥٣

لقد كان هو وصحبه ـ رحمهم الله ـ يتسابقون إلى ذرى الكمال فمنهم الطائر المحلق ومنهم المخضرم الشجاع ولكنهم جميعاً في موكب الخير سائرون .

لقد كانت لهم عبقريات عظمى في كل مجالات العقل والإرادة والإدارة والضمير ، أوطانهم مختلفة ولكن دينهم واحد وهدفهم واحد ، صدقوا ما عاهدوا الله عليه في أقوالهم وفي أفعالهم ـ رحمهم الله رحمة واسعة ـ وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء على ما قدموا من أعمال جليلة ومواقف شريفة رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل الفردوس مستقرهم ومأواهم آمين ، والحمد لله رب العالمين .

المبحث الرابع

((الجلندى بن مسعود حياة من أجل العدل))

ان العمانيين لهم السبق في السير على نهج الخلافة الإسلامية التي سار عليها رسول الله - ﷺ - ومن بعده من الخلفاء الراشدين .

ولذلك نجد أن أول خليفة إسلامي يبايع في عمان هو الإمام الحبر الجلندى بن مسعود بن جيفر بن جلندى هو أحد بني الجلندى بن المستكبر بن مسعود بن الحرار بن عبد عز بن معولة بن شمس ملوك عمان بعد أولاد مالك ابن فهم / قال المؤرخ نور الدين السالمي : «وغلط من نسبه إلى غير ذلك»[1] .

ويعتبر الإمام الجلندى من علماء صحار المشاهير بويع له بالإمامة عام مائة واثنين وثلاثين للهجرة .

وهذه الخلافة الإسلامية التي حرص عليها العمانيون في تاريخهم هي نفس الخلافة التي سار عليها الخلفاء الراشدون المهديون كأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - بعد أن لحق الرسول - ﷺ - بالرفيق الأعلى .

فمنهجها كتاب الله تعالى وسنة رسوله الأكرم - صلوات الله وسلامه عليه - (اعني الخلافة الراشدة التي قامت في عمان) ومبدئها الشورى في جميع شؤون الحياة ما لم يرد فيه نص شرعي .

---

(١) تحفة الأعيان للإمام السالمي جـ١ ص ٨٨ .

ولعلنا من خلال كتاباتنا عن سير هؤلاء القادة الميامين سندرك ذلك من توضيح جهودهم المضنية وأعمالهم المتوالية من أجل الحفاظ على مبادىء الإسلام وقيمه المثلى والذود عن حياض الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله تعالى للبشرية كما قال سبحانه ﴿**ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ .[1]

وهذه الكتابات المتواضعة لم تأت سرداً لتاريخ فحسب وإنما جاءت في وقت والأمة قد تنكبت طريقها السوي وهدت كيان الخلافة الإسلامية ومزقت جسدها أشلاء ممزعة .

لذا كان الواجب العود إلى ما كان عليه سلف هذه الأمة وقد قيل قديماً (لا يصلح خلف هذه الأمة إلا ما أصلح سلفها) .

ونحن عندما نكتب عن هؤلاء الاساطين على أمل منا أن ندرك أهمية التاريخ الإسلامي بصفة عامة والتاريخ العماني بصفة خاصة الذي هو جزء من التاريخ الإسلامي .

وسيرة سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - سيرة عطرة اعترف بها كتاب التاريخ على مر الأزمان، كيف لا وهم خلفاء الله في أرضه بذلوا كل غال وثمين من أجل الحفاظ على السير بخطى حثيثة لا تحيد عن جادة الصواب ولا عن منهج الحق لأن أولئك القادة الأشاوس من العمانيين سخروا أنفسهم لله فرعوا أمانة الله حق رعايتها وقاموا بها خير قيام ، فصدقوا فيما عاهدوا الله عليه .

---

(١) سورة المائدة من آية ٣ .

ونجد أبدع تصوير لحياة أولئك الأئمة والقادة الميامين يصوره لنا الشاعر العربي الكبير إبو مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحي حيث يقول في نونيته المشهورة :

تعاقبت خلفاء الله منصبها ... منذ الجلندى وختم الكل عزان[1]

أئمة حفظ الدين الحنيف بهم ... من يوم قيل لدين الله اديان

صيد سراة ابات الضيم أسد شرى ... شمس العزائم أو أهون رهبان

سفن النجاة هداة الناس قادتهم ... طهر السرائر للإسلام حيطان

تقبلوا مدح القران اجمعها ... إذا استحق مديح الله ايمان

جدوا إلى الباقيات الصالحات فلم ... يفتهم في التقى سر واعلان

على الحنيفية الزهراء سيرهم ... والوجه والقصد إيمان وإحسان

بسيرة العمرين[2] استلئموا وسطوا ... لشربة النهر وان الكل عطشان

صعب الشكائم في ذات الاله فإن ... حناهم الحق عن مكروهة لانوا

مسومين لنصر الله أنفسهم ... أرواحهم في سبيل الله قربان

سبق إلى الخير عن جد وعن كيس ... دانوا النفوس فعزت حيثما دانوا

سيماهم النور في خلق وفي خلق ... وهديهم سنة بيضاء تبيان

مقيدون بحكم الله حكمتهم ... وهمهم حيثما كان الهدى كانوا

هم اسمع الناس في حق وابصرهم ... وفي سواه هم صم وعميان

لم تلههم زهرة الدنيا وزخرفها ... إذ همهم صالح يتلوه رضوان

---

(١) راجع ديوان العلامة / أبي مسلم البهلاني .
(٢) أي أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما .

فما أجمل هذا الوصف الحقيقي لحياة أولئك الأقطاب الذين أدركوا واجبهم تجاه خالقهم ومجتمعهم فلقد علموا أن الحياة سفينة الآخرة فأحسنوا قيادتها على امتداد الأزمان في جميع الاعصار ، وامتداد الانسان في جميع الأزمان ، ولقد كان الجلندى من بين مجموعة علمية يقدر الواحد منها ما للآخر من حقوق وواجبات . وأقرانه الذين كانوا في زمانه عرفوا مكانته الاجتماعية والعلمية وفي مقدمتهم حاجب بن مودود الطائي والربيع بن حبيب الفراهيدي وأبو عبيدة عبدالله بن القاسم والقاضي هلال بن عطية وخلف بن زياد وشبيب بن عطية - أخو هلال بن عطية - وشيخ الإسلام موسى بن أبي جابر الأزكوي وبشير بن المنذر النزوي وهذان الأخيران من الجهابذة الخمسة الذين حملوا العلم من البصرة إلى عمان . [1] ولايفوتنا ذكر منير بن النير الريامي الجعلاني .

وهؤلاء العلماء الميامين كان الواحد منهم يفوق الآخر علماً وعملاً وفضلاً وزهداً وشهامة وتقوى كانوا مثالاً يحتذى بهم ومنارات علم يهتدى بهم .

قال أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر - رحمه الله - (لا نعلم في أئمة المسلمين في عمان أفضل من سعيد بن عبدالله إلا أن يكون الجلندى بن مسعود) . [2]

والإمام الجلندى كان محمود السيرة طاهر السريرة زكي ، المحتد يقول الحق ولا يخاف في الله لومة لائم .

قال أبو الحسن فسار الجلندى بن مسعود - رحمه الله - في عمان فأظهر الحق وعمل به وأخذ الدولة من يد أهل الجور وبرء من الجبابرة وأشياعهم ودان بقتال

---

(١) تحفة الأعيان جـ١ ص ٨٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٨ .

أهل البغي ولم يستحل مع ذلك غنيمة ولا سبي ذرية ولا استعراضاً بالقتل من غير دعوة .[1]

لقد جسد الجلندى الاستقامة على المنهج الذي يريده الله ، فلقد اثار الحياء في نفسه من التدني عن المرتبة التي رفعه الله اليها فأحس بكرامة الله له كإنسان فهو بالتقوى كريم عند الله ، عزيز عند الناس لأنه وقاف عند حدود الله ، قضى ساعات حياته في ظل الدستور الإسلامي الذي وضع القرآن الكريم قواعده .

إذن فلماذا يقدم الجلندى من بين أقرانه ومشايخه واخوانه وهم ليسوا أقل علماً منه ولا دراية ؟ : وجواب ذلك يتجلى في وصف العلامة منير بن النير الحضرمي الريامي المعروف بالجعلاني للإمام غسان بن عبدالله فنعت الإمام الجلندى بن مسعود ومن معه من بوارع كل قوم بما عرفوا به من المعروف والعدل والإحسان والصدق والاقتصاد والبصيرة والمعرفة والورع والزهد والتحرج والعبادة والسمت الجميل ، ثم قال : [2](لم يأخذوا الصدقة بغير حقها ولم يضعوها في غير مواضعها ولم يستحلوها من الناس على غير الاثخان في الأرض والحماية والكفاية والمكافحة عن حريم المسلمين بل أخذوها بحقها بعد إحكام الأمور التي تعينهم في دين الله وحفظ الرعية، ثم وضعوها في مواضعها وقسموها على أهلها بحكم القرآن الكريم (فريضة من الله والله عليم حكيم) .[3]

ثم قال : «وبلغنا عنهم فيما استقام عليه رأيهم أن يرفضوا بصدقة البحر إلا ما طاب بأنفس الناس أن يبذلوه لهم وذلك منهم ـ رحمهم الله ـ لما يتخوفون منه من الدخل عليهم في سبيل الله إذ لم يحموه» .

---

(١) تحفة الأعيان جـ١ ص ٨٩ .

(٢) تحفة الأعيان جـ١ ص ٨٩ .

(٣) سورة التوبة آية (٩) .

ثم قال : «ولا يولون أمرهم ولا يبعثون في حوائجهم ولا يستعملون على صدقاتهم وأهل رعيتهم ولا يستقضون على أهل ولايتهم إلا أهل الثقة وأهل العلم والفهم والورع والتحرج المعروفين بالفضل الموصوفين بالخير من أهل البيوت من قومهم غير ادعياء ولا منهمين ولا مقترفين» .[1]

ثم بين - رحمه الله - زهدهم بقوله : (وكان الواحد منهم يرزق في الشهر سبعة دراهم (بنقد ذلك الوقت) في غلاء من السعر فيصبر على القوت اليسير رغبة في الآخرة والثواب من عند الله ، ولربما يبقى مع الرجل منهم الدرهم والدرهمان فيطوع بذلك الفضل فيرده في فيء المسلمين - رحمهم الله وجزاهم خيراً - مع ما أظهروا من السنة) .[2]

هذه أوصاف وسمات وملامح الإمام الجلندى بن مسعود الصحاري وصحبه إذن فجدير أن يكون المقدم فيهم والإمام بينهم .

قال المؤرخ حميد بن حمد بن رزيق العماني في سيرتهم :

لدين لا لدينار هواهم	ففاتوا الريب واجتنبوا الربابا
شراة تابعوا سننا حكاها	رسول الله واتبعوا الكتابا

والجلندى بن مسعود أزدي عماني الأصل .

ويهمنا أيضاً من ذلك انحداره من الأزد الذي تنسب اليه عديد من أحياء العرب على حد قول بعض المؤرخين (وأعلم أن الأزد من أعظم الأحياء وأكثرها بطوناً وأمدها فروعاً .

(١) تحفة الأعيان جـ١ ص ٨٩

(٢) المرجع السابق ص ٩١ - وأيضاً الشعاع الشائع لابن رزيق ص ١٩ .

وقد نسبها الجوهري إلى ثلاثة أقسام.

. . . . .)[1] يهمنا منها أزد عمان الذين يرجع اليهم المختار بن عوف من ذكرناه سابقاً والجلندى بن مسعود - رحمهم الله - .

ويذكر العوتبي في كتابه الأنساب عند الحديث عن الأزد عدداً من الأحاديث تبين ما للأزد من فضائل . منها قوله عليه السلام (نعم القوم الأزد يحسنون ولا يغلون هم مني وأنا منهم من لم يكن له أصل في العرب فليلحق بالأزد فإنهم أصل العرب) وقوله : (نعم القوم الأزد طيبة أفواههم فخرة أبدانهم تقية قلوبهم) ، وقديماً قالوا : (الأزد جمجمة العرب وكاهلها). وقالوا: (الأزد أسد الباس وتسمى أيضاً أسد الله) .[2]

من هذه الأروقة نبع الجلندى بن مسعود الأزدي وكذلك المختار بن عوف فورثوا عن أجدادهم هذه الخصال الحميدة فكانوا أزديين ويمكن أن نقول أسديين لأنهم كما يقال الأزد الأسد .

قال الدكتور فرحات بن علي الجعبيري : (ولا تغفل عن أنهم أسد الباس قبل الإسلام ، وأسد الله عندما اعتنقوا الإسلام وعدد كبير من الأنصار وهذه إشارة واضحة إلى ما امتاز به الأزد من شجاعة فائقة تضاف اليها الحكمة وحسن التدبير وذلك معنى (جمجمة العرب) .[3]

---

(١) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥ - ١٩٨٤ - ٤٥ .

(٢) سلمة بن مسلم العوتبي - الأنساب - جـ١ جريدة عمان للصحافة والنشر - نشر وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م جـ٢ ص ٤٣ - ٤٥ .

(٣) أبو حمزة الشاري - حياة من أجل الحق - ص ٩٣ .

ويكفي هؤلاء في اسلامهم أن اعتبرهم الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أصل العرب وذكر أنهم طيبون وأنهم تقية قلوبهم ومهما يكن في هذه الأحاديث من قول فإن فيها إشارة لما للقوم من خير إذ لم ترد أحاديث في ذمهم فيما نعلم .[1]

هذه عن من ينحدر من الأزد أو يقال لهم الأسد والذي يهمنا منها طابع الشجاعة التليد المتأصل، وتتجلى الشجاعة أيضاً في أن ينحدر (أي الجلندى) من سلالة ملوك عمان الذين كان لهم دور تاريخي هام .

قال العلامة أبو مسلم في وصف الإمام الجلندى وصحبه ـ إضافة إلى ما ذكرناه سابقاً ـ .

سيما التعفف تكسوهم جلال غنى فالقلب في شبع والبطن خمصان[2]

وحسبك أيها القاريء الكريم بمن حاز هذا الثناء وأطبقت ألسنة الأمة على ذكرهم بالجميل وقد قيل : (الناس شهود الله في أرضه) .

ومن ذلك تذكر كتب التاريخ أن الجلندى بن مسعود ـ رحمه الله ـ أمر بقتل جعفر الجلنداني وولديه وهما النظر وزائدة على نقض كتاب بيعة منهم على المسلمين فلما صح ذلك عند الإمام الجلندى أرسل اليهم ولم يكن منهم محاربة ـ حسب ما تذكر كتب التاريخ ـ إلا ما تبين من كتابهم وبلغته مؤامرتهم وانكشفت له طويتهم أرسل اليهم فجيء بهم فأمر بضرب رقابهم (أي بقتلهم) لأنهم خالفوا أمر جماعة المسلمين .

---

(١) المرجع السابق ص ٩٤ .

(٢) ديوان أبي مسلم .

قال أبو الحواري : (فلما فارقوا الحياة دمعت عينا الإمام الجلندى جزعاً عليهم فوقع في أنفس المسلمين شيء من ذلك فقالوا له : اعتزل أمرنا فاعتزل أمرهم (إي الإمامة) وطرح لهم السيف والقلنسوة فلبث ما شاء الله يغدوا غدوهم ويروح رواحهم ، ثم رجعوا اليه فطلبوا اليه أن يرجع إلى ما كان فيه من أمرهم فكره ذلك ، فلم يزالوا به حتى رجع إلى مكانه بعد اعتزاله .

وتذكر بعض الروايات أنه اعتزل فلم يكن يرجع إلى الإمامة ولم نعلم أنهم بايعوه بعد اعتزاله (يعني أنه رجع إلى الأمر بالعقد الأول) .[1]

ويروى انهم قالوا له : اعصبية يا جلندى ؟ . فقال : لا ولكنها الرحمة .[2]

ويذكر أن جماعة المسلمين الذين بيدهم الحل والعقد قالوا له : (اعتزل أمرنا لما رأوا رقته على قرابته مع أنهم عصاة مخالفون للحق وناقضون للعهد ولا يصح في نظر أهل الحل والعقد بحال من الأحوال أن يحزن عليهم) .

فما أن سمع منهم ذلك إلا وسلمهم السيف والقلنسوة واعتزل أمرهم وبقي بينهم كواحد منهم متواضعاً كأنه لم يكن المقدم فيهم فلما رأوا منه ذلك الخلق الرفيع والسجايا الحميدة متمثلة في تواضعه المثالي ورضائه الخالص بعدم استمراره في منصب الإمامة لما يكتنفها من مسؤوليات جسام وأخطار مضنية عادوا اليه طالبين منه أن يرجع إلى ما كان عليه من الأمر والمسئولية الملقاة على عاتقه وهو يحاول جاهداً أن ينظروا رجلاً غيره ، ويبقى بينهم كواحد منهم مناصراً لمن يقدمونه إماماً لهم .

---

(١) تحفة الأعيان جـ١ ص ٩٣ .

(٢) نفس المرجع .

ولكن أولئك الميامين أهل الحل والعقد ينظرون إلى مثل هذه القضايا بنور الله فأبوا وأصروا إلى أن يرجع هو نفسه إلى منصب الخلافة لأنهم - رحمهم الله - نظروا وتأملوا من بينهم فرأوا أن الجلندى هو الأحق والأولى بالخلافة من غيره، فليكن كما كان سابقاً الإمام والمقدم فيهم ، وكيف لا والعلامة نور الدين السالمي - يرحمه - الله يقول في تحفته : (ولا أعدل بالجلندى إماماً بعمان) .[1]

ومن مواقفه الايمانية الثابتة الشجاعة (أي الجلندى) أن أحد ولاته يسمى الوضاح ويكنى أبا صالح ، مر به قوم قد استحل المؤمنون دماءهم فأعطاهم الوالي الأمان وخرج بهم إلى الجلندى وكان قد بلغه الخبر عن أمانهم الذي اعطاهم اياه واليه فقال الجلندى : (لا أمان لهم عندي) وفي رواية أخرى (لا أمان دون الإمام) فقتلوا فوقع في بعض نفوس المسلمين شيء من ذلك فردت المسألة إلى الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وأبي مودود حاجب الطائي فقال حاجب : (لا أمان إلا للإمام ولا أمان دون الإمام) .[2]

ان رغبة العمانيين المستمرة في الاستقلال عن السلطة المركزية - آنذاك - المتمثلة بالخلافة الأموية ثم العباسية فيما بعد . قد ساعدت في قيام الإمامة العظمى في عمان ، ولقد ساعد قيامها أيضاً الولاة في تلك الفترة ومن بينهم جناح بن عباد بن قيس الهنائي وإبنه محمد ، حيث تشير المصادر التاريخية أنهما كانا خير عون لقيام تلك الإمامة .[3]

وفي ذلك الوقت قد تدفق العديد من أتباع الأباضية من اليمن وحضرموت إلى صحار بعد إعلان العقد على الإمام الجلندى بن مسعود ولكن

(١) تحفة الأعيان جـ١ ص ٨٨ - ٩٢ .

(٢) المرجع السابق جـ١ ص ٩٣ - ٩٤ .

(٣) نشأة الحركة الإباضية د/ عوض خليفات ص ١٢٩ .

هذه الامامة لاقت منذ بدايتها معارضة قوية من قبل القبائل المعارضة لآل الجلندى ، كما أن الانشقاق الذي اتسع وزادت حدته بين آل الجلندى أنفسهم كانت له سلبياته أيضاً .

لكن هذه الخلافة الإسلامية (واعني بها الإمامة) بقيت صامدة في وجه جميع التحديات رغم الانشقاقات القبلية الداخلية ، وضغط العباسيين حيث لم يغفل الأعداء ما يجري في هذا القطر نظراً لموقع عمان الاستراتيجي حيث قدم شيبان بن عبدالعزيز اليشكري الخارجي (امام الصفرية) بجيْش هاربا من السفاح . فلما وصل إلى عمان أمر الإمام الجلندى قاضيه هلال بن عطيه الخراساني ويحيى بن نجيح ومعهم جماعة من المسلمين ، فلما التقوا وصاروا صفين قام يحيى بن نجيح -وهو معروف بفضله وورعه مشهود له باخلاصه لدينه- فدعا بدعوة انصف فيها الفريقين فقال (اللهم إن كنت تعلم أنا على الدين الذي ترضاه والحق الذي تحب أن توتى به فاجعلني أول قتيل من أصحابي ، وان كنت تعلم أن شبيان وأصحابه على الدين الذي لا ترضاه والحق الذي لا تحب ان توتى به ، فاجعل شيبان أول قتيل من أصحابه ، فأمنّ الفريقان، ثم زحف القوم بعضهم إلى بعض ، فكان أول قتيل من المسلمين يحيى بن نجيح وأول قتيل من أصحاب شيبان شيبان ، ومكن الله العمانيين منهم واستولوا عليهم ، قال العلامة السالمي : (فلم تبق لهم بقية فيما علمنا)[1] .

ثم قدم إلى عمان خازم بن خزيمة الخراساني -عامل السفاح- وسبب ذلك أنه لما قتل شيبان جاء في الأصل لمحاربة الصفرية فلما بلغه مقتل شيبان الخارجي طلب من العمانيين إعلان ولائهم للخلافة العباسية .

---

(١) تحفة الأعيان جـ١ ص ٩٤ .

هنا رفض القائد العماني الجلندى بن مسعود ذلك الطلب فوقعت اثر ذلك معركة دارت رحاها (في جلفار) [1] سنة مائة وأربعة وثلاثين هجرية سبعمائة واحدى وخمسين ميلادية فأسفرت تلك المعركة عن استشهاد الإمام الجلندى بن مسعود وهلال بن عطيه وعدد من العمانيين ، وقد كان لموت الجلندى صدمة وفراغ سياسي كبير رغم محاولة شبيب بن عطية الخراساني الذي حاول أن يجمع شتات العمانيين تحت زعامته [2] ولهذا الرجل سيرة تنبيء عن تصلبه في دينه وشدته على البغاة [3] يقول في أولها : (أما بعد فإنه قد بلغنا أن رسـول الله ـ ﷺ ـ قال (يد المسلمين واحدة على من سواهم ، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله) وقد امسيتم وأمسينا اخوانا على الحال التي قد ترون إختلفت في اعلاق الأمة وتشتت أمرها ، ووثب بعضهم على بعض كالسباع ينهش بعضهم بعضاً بالظلم والعدوان والغشم وانتهاك المحارم ولا يعرفون حق الله ولا حرمة الإسلام ولا يحتجرون به إلى أن قال في آخرها يا أيها الناس اعلموا أن من أمرنا أن نقاتل في سبيل الله ونقتل من عصى الله حتى يفيئوا إلى أمر الله أو تفنى أرواحنا إن شاء الله سبحانه وتعالى لنرد منار الإسلام إلى معالمها الأولى ، التي كانت على عهد نبي الله والذين بعده أبي بكر وعمر . حلال الله حلال إلى يوم القيامة ، ورضاء الله رضا إلى يوم القيامة ، وسخط الله سخط إلى يوم القيامة ، لا تنقض الطاعة بالمعصية ، ولا تثبت الطاعة لمعصية بالطاعة ، ولكن حتى يستكمل الناس جميعاً الطاعة بحدودها وإعلامها ومنارها واحكامها وأنسابها والرضا بها ، فمن كره هذا فالطريق له مخلى ، يذهب حيث شاء من البر

(١) مكان معروف يسمى الآن (رأس الخيمة) .

(٢) دراسة مصادر التاريخ العماني للدكتور فاروق عمر ص ٣٧ـ٣٨ .

(٣) تحفة الأعيان جـ١ ص ١٠٤ .

والبحر ، وليكن امرءا على حذر أن يتبع عورات المسلمين ويكاتب عدوهم ويشغب عليهم فيتخذ عليهم بسعيه بين المسلمين بطانة» إلى آخر ما ذكر فيها من بيان الحق الواضح ، والتحريض على القيام بالأمر ، والرد على المخالفين في شكهم وحيرتهم .[1]

يقول ابن الاثير في كامله : (ان خازم بن خزيمة الخراساني كان من أنصار السفاح وأخوال السفاح من بني عبد المدان وهم خمسة وثلاثون رجلاً ، ومن مواليهم سبعة عشر ، قصدوا السفاح فلقيهم خازم بن خزيمة بذات المطامير وكان قد وجد في نفسه عليهم فلم يسلم عليهم ، فلما اجتازهم شتموه وقلبه يثور بالأحقاد على ما كان منهم ، لما بلغه عنهم من حال المغيرة بن الفزع ، وانه لجأ اليهم وكان من أصحاب بسام ، فرجع اليهم وسألهم عن المغيرة فقالوا : مر بنا رجل مجتاز لا نعرفه فأقام في قريتنا ليلة ثم خرج عنا ، فقال لهم : أنتم اخوال أمير المؤمنين ، يأتيكم عدوه وينام في قريتكم ! فهلا إجتمعتم فأخذتموه! فأغلظوا له في الجواب ، فأمر بهم فضربت أعناقهم جميعاً ، وهد دورهم ، ونهب أموالهم ثم انصرف) [2]فبلغ ذلك اليمانية فاجتمعوا ، ودخل زياد بن عبدالله الحارثي معهم على السفاح ، فقالوا له أن خازماً إجترأ عليك واستخف بحقك وقتل أخوالك الذين قطعوا البلاد وأتوك معتزين بك ، طالبين معروفك، حتى صاروا في جوارك فقتلهم خازم ، وهدم دورهم وهدم أموالهم بلا حدث أحدثوه ، فهمّ بقتل خازم ، فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطية فدخلا على السفاح وقالا : يا أمير المؤمنين بلغنا ما كان من هؤلاء وانك هممت بقتل خازم ، وإنا نعيذك بالله من ذلك ، فإن له طاعة

---

(١) تحفة الأعيان جـ١ ص ١٠٥ .

(٢) الكامل - في التاريخ لابن الأثير المجلد الخامس ص ٤٥٠ .

وسابقة ، ويحتمل له ما صنع فإن شيعتكم من أهل خراسان قد آثروكم على الاقارب والأولاد ، فقتلوا من خالفكم ، وأنت أحق من تغمد اساءة مسيئهم ، فإن كنت لابد مجمعاً على قتله فلا تتولى ذلك بنفسك وابعثه لأمر إن قتل فيه كنت قد بلغت الذي تريد ، وان ظفر كان ظفره لك ، وأشاروا عليه أن يتوجه إلى من (بعمان) وإلى الذين بجزيرة (ابن كاوان) مع شيبان بن عبدالعزيز ـ الآنف الذكر ـ فأمر السفاح بتوجيهه مع سبعمائة رجل وكتب إلى سليمان بن علي وهو على البصرة بحملهم إلى جزيرة (إبن كاوان وعمان) .

وسبق أن ذكرنا المعركة التي دارت بين شيبان والعمانيين وبقي أن نعرف عن الجهاد والنضال اللذين بذلهما العمانيون تجاه خازم بن خزيمة القائد العباسي ومن معه ، وكيف استشهد الإمام الجلندى بن مسعود ومن معه ـ رحمهم الله ـ .

لقد اتخذ خازم وجيشه طريق البحر تنفيذاً لتوجيهات صدرت عليه من السفاح ، فدخل عمان عن طريق البصرة .

وعندما وصل خازم ومن معه إلى عمان ، قال للإمام الجلندى : (إنا كنا نطلب شيبان ومن معه وقد كفانا قتالهم على أيديكم ولكني أريد أن أخرج من عندك إلى الخليفة (يعني الحاكم العباسي) وأخبرك أنك له سامع ومطيع) ، ذلك مطلب خازم الدال على حنقه وكيده وغيظه .

هنا فكر القائد العماني الجلندى في الموقف الذي يجب أن يقفه العمانيون ضد الغازين الطامعين الناقمين .

لقد رأى الإمام الجلندى أن يجعل الأمر شورى بين أهل الرأي والحل والعقد ، بين أولئك القوم الذين لا يخافون في الله لومة لائم ، فاتفق الجميع

على أنه لابد من التصدي والوقوف في وجه من تسول له نفسه أن يزعزع كيان الدولة الإسلامية ويبث الشقاق بين أهلها ويبذر الحقد في أراضيها .

هذا رد مجلس الشورى الذي يجلس على منبره أمثال هلال بن عطية واضرابه من العلماء الكبار ، مرددين لا سمع ولا طاعة ولا استسلام ولا تسليم للسيف ولا للخاتم الذي استولى عليهما العمانيون أثر انتصارهم على شيبان اليشكري ، فهما كأمانة بأيديهم يسلموها إلى وارث شيبان أو وكيلهم الشرعي .

وتذكر بعض كتب التاريخ : (أن بعض العلماء أشار إلى الإمام الجلندى أن يضمن لورثة شيبان قيمة السيف والخاتم ليدفعا بذلك عن الدولة . وذلك منهم - رحمهم الله - حفاظ على كيان الخلافة الإسلامية وحقن للدماء بين المسلمين .

ولكن خازماً لم يوافق على هذا العرض وكرر مطالبته بإعلان الولاء والطاعة للحاكم العباسي .

فأجمع العمانيون هنا أنه لا يجوز ذلك ولا يصح الخنوع لمثل هذا الاستفزاز ويجب علينا أن ندافع عن اسلامنا وأراضينا بالمال والرجال (لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) .

وكان خازم يراقب سواحل عمان منتظراً النتيجة التي سيسفر عنها القتال بين الخوارج والإباضية في جلفار ولما علم بالنتيجة سار نحو جلفار ، قبل عودة جند أهل الاستقامة منها ، حيث التقى بهم هناك ، وطلب منهم ما ذكرناه سابقاً ، وعندما رد الإباضية بعدم الموافقة على طلبه ، جرت بين الفريقين معركة قاسية في نفس المكان المذكور ، رجحت فيها كفة العمانيين في البداية ، ولكن

خازماً تبع تكتيكاً جديداً فأحرق بيوت (الإباضية) وأشغل أذهانهم بأولادهم وأهلهم وممتلكاتهم ، مما ساعد في إرباكهم واضطراب صفوفهم ، وتمكن بالتالي من احراز النصر عليهم بعد سبعة أيام من القتال العنيف .

ونتيجة لهذه المعركة ، استطاع خازم إعادة ضم عمان إلى جسم الدولة العباسية التي تربع على عرشها العباسيون .[١]

وعلى الرغم من هذه الهزيمة فإن العمانيين لم يذلوا أو يستكينوا بل أخذوا يتلمسون الفرص المناسبة لإعادة الكرة .

كما إن الإباضية لم تمت في ذلك القطر بل اتخذ اتباعها من معركة جلفار ومما جرى لاخوانهم فيها من قتل وتدمير ، ذكرى تحفزهم للتجمع من جديد ، وتكثيف نشاطهم لنشر دعوتهم وخاصة في المناطق الجبلية ، والداخلية التي يصعب على العباسيين اجتيازها ، والسيطرة عليها .

وإستطاع الإباضية - أهل الحق والاستقامة - ان يعلنوا قيامهم من جديد ، ويعيدوا تأسيس الإمامة نحو عام مائة وسبعة وسبعين هجرية سبعمائة وثلاثة وتسعين ميلادية ، حيث قدموا محمد بن أبي عفان اليحمدي .[٢]

ومنذ التاريخ المذكور استمرت الإمامة في عمان - أو بعض مناطقها - بدون إنقطاع لعدة قرون . وأصبح المذهب الإباضي هو المذهب السائد في عمان حيث اعتنقه معظم سكان هذا القطر .[٣]

---

(١) مصباح الظلام للرقيشي ورقة ٢٠ - ٢١ ، ٢ - تحفة الأعيان جـ١ ص ٩٨ ، ٩٩ .
(٢) محمد بن أبي عفان ، قد اختلفوا في صفة إمامته هل هو إمام دفاع أم أمير جيش؟ راجع تحفة لأعيان جـ١ ص ١١١ - ١١٣ .
(٣) نشأة الحركة الإباضية د/ عوض خليفات ص ١٣١ - ١٣٢ .

تروي بعض كتب التاريخ (ان الحرب وقعت سجالاً بين الفريقين وشاء الله أن تكون الغلبة للجيش العباسي ، حيث استشهد من التحق في سلك الجيش العماني ولم يبق إلا الإمام الجلندى بن مسعود وهلال بن عطية ، فقال الإمام لهلال (إحمل سيفك أمامي فقال له هلال : (أنت إمامي فكن أمامي ولك على عهد ان لا اتأخر بعدك ، فتقدم الإمام فقاتل حتى قتل - رحمه الله - ثم تقدم القاضي هلال يصول ويجول بسيفه بين كر مستمر لا يعرف إلا البسالة ، وأصحاب خازم ينظرون إليه نظر المتأمل معجبين بحركاته وبسالته ، وهم في أول الأمر لم يعرفوه إلا في نهاية المطاف حيث أدركوه وهمسوا بين بعضهم البعض أنه هلال بن عطية ، فاحتووه وقتلوه) - رحمه الله تعالى - .

ولهذا الموقف تصوير رائع للشيخ العلامة نور الدين عبدالله بن حميد السالمي - رحمه الله - حيث يقول في كتابه (جوهر النظام) .

واختلفوا هل تسع التقية   له إذا تخذله الرعية
فبعضهم الزمه القياما   ولو رأى الموت إذ ما قاما
وهي التي افتى بها هلال   إمامه وهو الفتى المفضال
اعنى الجلندى ابن مسعود الولي   أفضل من قام بقطرنا العلي
قاتله جيش بني العباس   في سيف شيبان الفتى الدّعاس[1]
يطلبه المعروف باسم خازم   في أخذ سيفه وأخذ الخاتم
قال له ذلك للوراث   وأنت لست من ذوي التراث
وانتشبت بينهم الحرب فلم   ينشب إلى أن قتلوا فما انهزم
وقد بقي هلال والإمام   فردين لم يغشهما انهزام
قال الإمام لهلال ما ترى   قال تقدم وأنا فيمن جرى
تقدم الإمام حتى قتلا   وقتل القاضي وراه مقبلا
كان لهم كأسد في الصولة   وكعقاب الجو عند الجولة
تعجب الخصم ومن رآه   في ذلك الحال بما ابداه
ابدى ثقافة تحير الذهنا   مع بسالة عليها يثنى
فاستشهدوا وقد حوت جلفار   مشهدهم جاءت بذا الأخبار
عليهم الرحمة والرضوان   من ربنا والعفو والغفران
لو دفعوا الخاتم والسيف لما   كان هناك ابداً سفك دما
لكنهم لم يرتضوا المداهنة   فقدموا الانفس غير خائنة[2]

وكذلك نجد العلامة الشيخ خلفان بن جميل السيابي - يرحمه الله - يصور لنا ذلك الحدث في عرض مؤثر ، واسلوب رفيع إذ يقول :

---

(١) المناضل .
(٢) جوهر النظام ص ١١٧ ، ١١٨ .

وجـــاءهم من بعـــد ذاك خـــازم فـــتى خـــزيمة عليــهم قـــادم[1]
جـا طالبـا شـيـبـان للكفـاح وكـــان هذا عـــامل السـفــاح
فـــقـــال للجلندى كنا نطلب شــيـبـــان وهو كــان منا يهــرب
وقـــد كــفـــانا الله قـــتله على ايديكم فنرجـــعن إذ قـــتــــلا
فـاعطني خـــاتمـه وسـيفـه والسـمع والطاعـة للخليـفـة
فـــقــــال هذا لا يصح ابدا ولا نطيع ظالما قـــد اعـتـــدى
بعـــد مـــشـــورة من الإمــــام وصـحـبـه للقـــادة الاعـــلام
قـــال الإمـــام لفـــتى عطيــة مـــاذا ترى هل تسع التـقـيـة
فـــقــــال لا لأننا شــــراة بعنا النفــوس مـــالنا تقـــاة
قـــال تقـــدم للقـتـــال قـــالا أنت إمـــامي باشـــر القـتـــالا
ثم على العـــهـــد الذي بعـــدك أن لا أرجـــعن عنهم أو اقـــتلن
فـــقـــاتلا هناك حـــتى قـتـــلا ثم إلى دار النعــيم انتـــقـــلا
وهكذا أصـحـــابهم جـمـيـعـاً قـــد قـتلوا وصـرعـوا تصـريعـا
كـــانوا حـــريصين على الشـــهـــاده فـنـال كـل منـهـم مـــــراده
جـــــزاهم الإله من رضـــــوانه أحلـهـم أعلى عـــــلا جنانه

ولقد استمرت إمامة الجلندى بن مسعود سنتين وشهراً وقيل وأشهراً وذلك أنه عقد عليه عام اثنين وثلاثين ومائة واستشهد سنة ثلاث وثلاثين ومائة كذا قيل .

---

(١) سلك الدرر الحاوي غرر الأثر جـ٢ ص ٥٦٦ ـ ٥٦٧

قال العلامة السالمي : وفيه نظر لأن إمامته كانت في أيام دولة السفاح ، والسفاح إنما تغلب على الأمر وتمكن من الدولة ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من سنة اثنين وثلاثين ومائة وقيل في النصف من جمادى الآخرة من السنة المذكورة والله أعلم بحقيقة الأمر .[1]

وذكر ابن الأثير في الكامل أن استشهاد الجلندى وأصحابه ـ رحمهم الله ـ في حوادث سنة أربع وثلاثين ومائة ـ وهذا أقرب إلى صواب التاريخ .[2]

---

(١) تحفة الأعيان جـ١ ص ٩٦ـ٩٧ .

(٢) الكامل لابن الأثير ـ و تحفة الأعيان جـ ١ ص ٩٧ .

خاتمة

وهكذا أيها القارىء الكريم ظهر لنا من خلال هذا البحث مكانة أبي حمزة الشاري (المختار بن عوف) وعلمه وخطبه ومواقفه البطولية التي سجلتها كتب التاريخ ، وحفظتها الليالي والأيام ، وكذلك تبين لنا من خلال كتابتنا عن الإمام الجلندى ابن مسعود المعولي (أول إمام بعمان) تبين لنا سيرته العطرة وزهده وورعه وفضله ونبله وصفاؤه ومواقفه .

إن الامامين المذكورين (أبي حمزة والجلندى) بينهما قاسم مشترك يتجلى ذلك في مواقفهما ضد الطامعين والناقمين ، ويتضح أيضا في استشهادهما ـ رحمهما الله ـ وهما يصولان ويجولان من أجل رفعة راية الإسلام وتطبيق شرع الله في أرضه ، والقضاء على من تسول له نفسه أن ينال من حوزة الحق والعدل .

فجدير بالأخوة الباحثين والراغبين في الاستزاده من البحث عن مثل هؤلاء الرجال العظام أن يسخروا أقلامهم في التنقيب عن سيرة السلف الصالح وأن يخصصوا بحوثهم من أجل إظهار هذه الشخصيات الفذة لكي تكون نبراساً مضيئاً للنشىء ، وقد قيل قديماً (لا يصلح خلف هذه الأمة إلا ما أصلح سلفها) والله الهادي إلى سواء السبيل .

المحتويات

